كتاب لكل فتاة وسيدة

المرأة في الحج والعمرة

الكاتبة الإسلامية

ناهد الخراشي

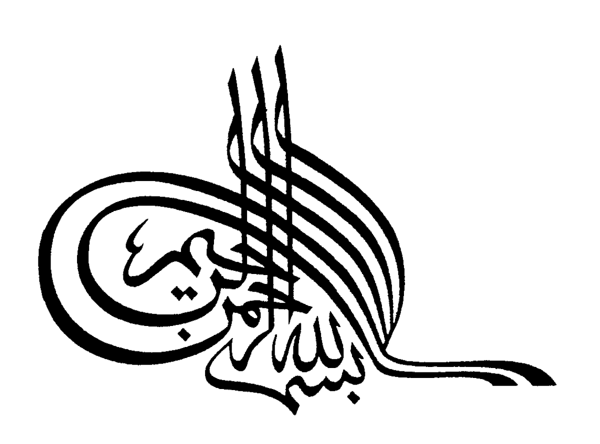
دار الكتاب الحديث

١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٦ م

دار الكتاب الحديث

القاهرة	٩٤ شارع عباس العقاد – مدينة نصر – القاهرة ص.ب ٧٥٧٩ البريدي ١١٧٦٢ هاتف رقم : ٢٧٥٢٩٩٠ (٢٠٢ ٠٠) فاكس رقم : ٢٧٥٢٩٩٢ (٢٠٢ ٠٠) بريد إلكتروني : dkh_cairo@yahoo.com
الكويت	شارع الهلالي ، برج الصديق ص.ب : ٢٢٧٥٤ – ١٣٠٨٨ الصفاه هاتف رقم ٢٤٦٠٦٣٤ (٩٦٥ ٠٠) فاكس رقم : ٢٤٦٠٦٢٨ (٩٦٥ ٠٠) بريد إلكتروني : ktbhades@ncc.moc.kw
الجزائر	B. P. No ٠٦١ – Draria Wilaya d'Alger– Lot C no ٣٤ – Draria Tel&Fax(٢١)٣٥٣٠٥٥ Tel(٢١)٣٥٤١٠٥ E-mail dkhadith@hotmail.com

رقم الإيداع	٢٠٠٦ / ١٧٤٨٤
I.S.B.N.	٩٧٧-٥٧٥٨-٤٨-X



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿... وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾

(آل عمران)

عن أبي هريرة ، عن رسول الله ﷺ أنه قال :

"جهاد الكبير والضعيف والمرأة الحج والعمرة" .

سمعت نداء يناديني

بلا كلمات ولا حروف

ولكنه نور يقذف في قلبي

فأجيبه

لبيك

(عابدة محبة لله)

لبيك اللهم لبيك

لبيك لا شريك لك .. لبيك

إن الحمد والنعمة لك والملك

لا شريك لك .. لبيك

إهداء

إلى كل من تحج بيت الله . . .

إلى كل من تحيا في حب الله . . .

إلى كل من تنشغل بالله عمّن سواه . . .

إلى كل من تستغفر الله طامعة في رحمته . . .

إلى كل من تسعى إلى رضاه . . .

إلى كل من تسبح في أنوار الرحمن على

خطى القرآن . . . طامعة في القبول والرضوان .

أهدي هذا الكتاب حباً في الله ؟؟؟

مقدمة

بسم الله الذي لا إله إلا هو وحده لا شريك له . . . منه وحده الفضل ، وله وحده الحمد كما يحب ويرضى . . . والصلاة والسلام على من أشرقت الدنيا بنور وجهه الكريم ، واهتدى به أمر الدنيا والدين وانقشعت برسالته ظلمات الجهل ، واهتدى بهديه التابعون إلى يوم الدين محمد رسول الله وخاتم النبيين ﷺ .

والسلام على من اتبع الهدى . . . وبعد ؟؟؟

ترددت كثيراً في إخراج هذا الكتاب ، وخاصة أنه قد صدر لي مند سنوات كتاب بعنوان "**شعائر الله وأخلاقيات الحج والعمرة**" والذي احتوى على مناسك الحج وأخلاقياته وآدابه .

ولكن ما لاحظته وما تناهى إلى مسامعي من احتياج المرأة إلى الوعي السليم والمعرفة الإسلامية الصحيحة عن شعائر الحج بالنسبة لها ، وخاصة أن هناك الكثير من التساؤلات التي تراود المرأة حول كيفية الحج والعمرة ورغبتها في التزود بالعلم المؤسس على القرآن والسنة لأداء حج مبرور يرضى عنه الله عز وجل . . . وانطلاقا من أهمية معرفة حكمة شعائر الحج حتى ينطلق الإنسان

ويؤدي مناسكها ويتحلى بآدابها وأخلاقها مقتديا بسنة رسول الله ﷺ متحليا بزينة الحج وجوهره وهو الخلق والسلوكيات بكل إخلاص وحب وخشوع مما يحقق قمة العبودية لله الواحد الوهاب . هو الذي دفعني لإنجاز هذا الكتاب "**المرأة في الحج والعمرة**" والذي استهللته بقصص قصيرة من وحي القرآن والسنة عن حكمة الحج والسعي بين الصفا والمروة ، والحكمة من رمي الجمرات، وافتداء سيدنا إسماعيل بذبح عظيم وعيد الحب العظيم .

ثم تطرقت في الباب الثاني إلى تكريم القرآن الكريم للمرأة وعناية رسول الله ﷺ .

ثم المرأة في الحج والعمرة حيث التعرض إلى مناسك الحج وآدابه متضمنة كيفية إحرام المرأة ومحظورات الإحرام وكذلك إحرام الحائض وما يجب عليها فعله .

ثم سبل المحافظة على الحج ، وآداب زيارة رسول الله ﷺ حيث إن زيارته ﷺ من آداب الحج .

وانتهيت إلى آثار رحلة الحج على حياة الإنسان ، وتنقسم هذه الآثار إلى منافع الحج ، والفوائد النفسية ، والدروس المستفادة .

ثم ختمت هذه الرحلة برساله إلى المرأة أن تجعل من حجها نورا تمشي به بين الناس .

وهذا كله هو فضل الله العظيم .

ولا أنسب فضلا إلى نفسي . . فليس لي الفضل في شيء ففي البداية والنهاية الفضل لله وإلى الله وبيد الله .

قول تعالى ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ ﴾ (النساء)

أسأل الله عز وجل العفو والعافية عن أي سهو أو نسيان أو خطأ .

وأسأله تبارك وتعالى أن يتقبل هذا الكتاب خالصاً مخلصاً لوجهه الكريم وأن أكون بهذا العمل قد قدمت إلى كل فتاة وامرأة شمعة مضيئة وساهمت في زرع بذرة من بذور الخير على طريق الهدى والمعرفة بشعيرة من أهم شعائر الله تعينها في الطريق ساعية إلى حبه طامعة في رضاه .

ناهد الخراشي

مصطلحات الحج والعمرة

والزياة النبوية



الحج : زيارة بيت الله الحرام في مكة بقصد أداء أعمال محددة في وقت محدد من بينها الإحرام والطواف والسعي والوقوف بعرفة ورمي الجمرات ، وتبدأ مناسك الحج من يوم التروية – الثامن من ذي الحجة – وتستمر حتى نهاية أيام عيد الأضحى المبارك .

العمرة : هي زيارة بيت الله الحرام في مكة في أي وقت من أوقات السنة ، **والعمرة** سنة مؤكدة عن النبي ﷺ وللمسلم أن يؤديها في العمر مرة واحدة ، وما زاد عن ذلك كان على سبيل التطوع .

الإفراد : نية الحج فقط والتلبية به وحده دون أن يسبقه أداء عمرة .

القران : اقتران الحج بالعمرة ، أي أداء الحج بعد أداء العمرة بإحرام واحد .

التمتع : أن يؤدي الحاج العمرة ، ثم يتحلل من إحرامها ويتمتع بحياته اليومية العادية ، ثم يحرم مرة أخرى لأداء مناسك الحج.

الإحرام : هو نية الحج أو العمرة أو نيتهما معا ، ومن شروطه : الامتناع عن لبس المخيط من الثياب بالنسبة للرجال ، والامتناع عن قص الأظافر أو إزالة الشعر ، والامتناع عن قرب النساء، وذلك بعد أن يغتسل الحاج مثل اغتساله من الجنابة ولكن بنية الإحرام ، وتغتسل المرأة أيضا .

ويرتدي المسلم إزاراً ورداءً غير مخيطين ونعلين مخصوفين للحج ويترك رأسه مكشوفا ، وتلبس المرأة ملابسها العادية التي لا تكشف عن محاسنها ويجب الإحرام على الحاج عند وصوله إلى مكان محدد يسمى الميقات ، وهو يختلف باختلاف الجهة التي يأتي منها إلى مكة المكرمة .

المحرم : هو من لا يجوز للمرأة الزواج به من أقاربها ، ولا يجوز للمرأة أن تحج أو تعتمر إلا مع زوجها أو مع "محرم" من أهلها، أو مع صحبة سفر آمنة .

التلبية : هي أن يقول الحاج :

"لبيك اللهم لبيك ......
لبيك لا شريك لك لبيك
إن الحمد والنعمة لك والملك
لا شريك لك " .

ويلبي الحاج إما بالحج فقط وإما بالحج والعمرة معا فيقول "لبيك حج" أو "لبيك بحج" أو "لبيك اللهم بحج" إذا نوى الحج فقط.

ويقول : "لبيك حج وعمرة" أو "لبيك بحج وعمرة" إذا نوى الحج والعمرة معا ولبيك عمرة إذا نوى أداء العمرة ، ويتوقف المعتمر عن التلبية عند طوافه بالبيت الحرام ، أما الحاج فيتوقف عن التلبية عند رمي جمرة العقبة الكبرى يوم النحر .

الميقات الزماني : هي الفترة الزمنية التي يصح فيها أداء الحج أو سنة العمرة .

الميقات المكاني : هو المكان الذي لا يتجاوزه الحاج إلا محرما ، ولا يجوز له أن يتجاوزه عند أدائه فريضة الحج أو سنة العمرة ويختلف الميقات المكاني باختلاف الجهة القادم منها .

التهليل : قول الحاج " لا اله إلا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده ...

لا اله إلا الله ... ولا نعبد إلا إياه .. مخلصين له الدين ولو كره الكافرون .

التكبير : قول الحاج "الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله العلي العظيم بكرة وأصيلا" .

الكعبة : هي بيت الله الحرام رفع قواعده إبراهيم عليه السلام ، وهو بناء ذو أربعة جدران يتوسط الحرم المكي .

الحطيم : سور سميك نصف دائري في مواجهة الجدار الشمالي للكعبة ، ويعتبر جزءا من الكعبة ويلزم الطواف من حوله ، وفي داخل الحطيم يقع حجر إسماعيل .

حجر إسماعيل : مساحة نصف دائرية بين الحطيم وجدار الكعبة .

الطواف : الدوران حول الكعبة سبعة أشواط .

طواف القدوم : الطواف الذي يقوم به الحاج فور وصوله إلى مكة بعد الإحرام مباشرة .

الاضطباع : تعرية الكتف الأيمن بالنسبة للرجال أثناء الطواف ويقتصر على بدء الطواف .

استلام الحجر الأسود : الوقوف تجاهه والإشارة إليه ، يطلق عليه أيضا استلام الركن .

الملتزم : جزء من جدار الكعبة يقع بين بابها و بين الحجر الأسود .

مقام إبراهيم : الحجر الذي كان يقف عليه سيدنا إبراهيم عليه السلام عند بناء الكعبة ، ويقع في مواجهة باب الكعبة وحوله حزام من النحاس الأصفر .

زمزم : عين ماء تقع داخل الحرم ، تفجرت عند قدمي سيدنا إسماعيل عليه السلام عندما كان وليدا ومعه أمه السيدة هاجر عندما تركهما أبوه سيدنا إبراهيم عليه السلام في وادي مكة عند بيت الله الحرام .

السعي : الانتقال من الصفا إلى المروة وبالعكس سبعة أشواط .

الصفا : جبل صغير قريب من الكعبة يبدأ من عنده السعي في اتجاه المروة .

المروة : جبل صغير آخر في مواجهة جبل "الصفا" ويتم السعي بينهما.

المسعى : الطريق بين الصفا والمروة ويبلغ طوله حوالي ٣٧٥ مترا ، ويقع الآن داخل حدود الحرم المكي وله دور علوي لتيسير السعي خلال موسم الحج .

الميلان الأخضران : أو العلمان الأخضران ، وهما علامتان بين الصفا والمروة ومن المستحب أن يسرع الحاج بينهما ذهابا وعودة للرجال لا للنساء في المرات السبع وهو ما يسمى "بالهرولة".

الهرولة : الإسراع في المشي بين الميلين الأخضرين خلال أشواط السعي .

التقصير : تقصير شعر الرأس ، ويكفي قص بعض الشعر على جانبي الرأس ، ويتم التحلل من الإحرام .

الحلق : هو حلق شعر الرأس كله بالموس وهو للرجال أفضل من التقصير ، وهو محظور بالنسبة للمرأة .

عرفة أو عرفات : واد تتجمع فيه الحجاج يوم التاسع من ذي الحجة، ويبعد عن مكة بحوالي ٢٥ كيلو مترا .

الوقوف بعرفة : هو الحضور والوجود في عرفة اعتبارا من ظهر يوم التاسع من ذي الحجة حتى فجر يوم العاشر أول أيام عيد الأضحى ، وهو ركن الحج ، وفي الحديث "الحج عرفة" .

الإفاضة من عرفات : بدء نزول الحجاج من عرفات إلى المزدلفة ، ويبدأ بعد غروب شمس يوم عرفة .

المزدلفة : مكان بين عرفات ومنى يبعد عن منى بحوالي ٥ كيلو مترات ، والوقوف عنده من شعائر الحج .

والمبيت به سنة ، وتعتبر صلاة المغرب والعشاء مجتمعين جمع تأخير به من المناسك .

المشعر الحرام : مكان في المزدلفة والدعاء عنده من شعائر الحج .

الجمرات : الحصى الذي يجمعه الحاج ليرجم به الشيطان .

ويطلق اسم " الجمرات " أيضا على العلامات الثلاث التي ترجم بهذا الحصى .

العقبة : توجد في منى ثلاث علامات تسمى الجمرات ، والكبرى منها تسمى "جمرة العقبة" .

منى : تجمع سكاني خارج مكة يتزايد سكانه في موسم الحج ، ويقضي بها الحجاج ثلاثة أيام بعد الحج .

التحلل : هو إنهاء الإحرام بتقصير الشعر أو حلقه ، ويعرف بالتحلل الأصغر ويبدأ بعد رمي جمرة العقبة .

والتحلل الأكبر هو إنهاء الإحرام بالكامل بعد الفراغ من طواف الإفاضة من عرفات وهو طواف الركن الذي أشار إليه قوله تعالى : ﴿....وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾﴾ (الحج).

الهدي : الذبيحة التي يهديها الحاج إلى بيت الله الحرام ، ولسكان الحرم من الإبل والغنم والبقر ، وذلك بذبحها وإراقة دمائها، وتوزيع لحمها .

الأضحية : ما يذبح بعد صباح عيد الأضحى ، ولا أضحية على الحاج .

الفداء : هو الذبيحة التي تجب على الحاج كجزاء للتكفير عن مخالفة صدرت من الحاج في أعمال المناسك في الحج أو العمرة ، ويسمى أيضا "دم" .

طواف الإفاضة : طواف الحاج ببيت الله الحرام بعد النزول من عرفات ، وذكر الله عند المشعر الحرام بالمزدلفة والانتهاء من رمي جمرة العقبة .

يوم النحر : يوم العاشر من ذي الحجة أول أيام عيد الأضحى وفيه يجوز ذبح هدي التمتع أو القران .

يوم التروية : هو يوم الثامن من ذي الحجة وفيه تبدأ مناسك الحج بمكة .

أيام التشريق : هي الأيام الثلاثة التي تلي أول أيام عيد الأضحى ، وللحاج أن يقيم فيها بمنى ، وله أن يكتفي بيومين إذا كان متعجلا .

طواف الوداع : طواف الحاج بالبيت الحرام قبل مغادرة مكة بعد أداء مناسك الحج.

الحرم النبوي : مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة المنورة ويقال له أيضا الحرم المدني ، تمييزا له عن الحرم المكي .

المقصورة : مكان بيت الرسول ﷺ وفيه دفن ، ودفن خليفتاه "أبو بكر وعمر" رضي الله عنهما .

المنبر : منبر قائم على يمين المقصورة مكان المنبر الذي كان يقف عليه الرسول ﷺ .

الروضة : المساحة الواقعة بين المقصورة والمنبر بامتداد المقصورة ، وعنها يقول الرسول ﷺ : "**ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة**" .

من وحي القرآن والسنة

شعائر الله في الحج والعمرة

شعائر الله هي المناسك أو الأعمال التي يقوم بها العبد طاعة لأمر الله وتقرباً إليه عز وجل .

قال تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ ...(١٩٦)﴾ (البقرة).

وقال رسول الله ﷺ "**العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة**" .

والعمرة شرعا تعني زيارة بيت الله الحرام في أي وقت من أوقات العام دون الوقوف بعرفة ، أما الحج فهو زيارة بيت الله الحرام بقصد أداء أعمال محددة في أوقات محددة ، وتبدأ مناسك الحج من يوم التروية ـ الثامن من ذي الحجة ـ وتستمر حتى نهاية أيام عيد الأضحى المبارك .

ومن المناسك المشتركة في الحج والعمرة ، الطواف حول الكعبة سبعة أشواط حيث إن تحية الكعبة هي الطواف ، والصفا والمروة إذ أنها من شعائر الله .

قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾﴾ (البقرة).

ويستحب طوال رحلة مناسك الحج والعمرة ذكر الله كثيرا وأفضل الذكر تلاوة القرآن الكريم ، والتسبيح والتحميد والتكبير والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ ، والدعاء بأسماء الله الحسنى .

الحج سلوك ومسئولية وخلق قويم ... وزينة الحج وجوهره هو الخلق والسلوكيات .

لقد جعل الله سبحانه وتعالى بيته الحرام قبلة للمؤمن يتجه إليه كل يوم خمس مرات في الصلاة ، وهكذا شاءت إرادة الله أن ينشغل فؤاد المؤمن بهذا البيت وهو بعيد عنه إلى أن يؤدي فريضة الحج ليتم بها نعمة الإيمان بالله .

وبحلول موسم الحج من كل عام تمتلئ القلوب شوقا للذهاب إلى بيت الله الحرام لأداء فريضة الحج ، وزيارة رسول الله

ﷺ لما في ذلك من متعة روحية لا تعادلها متعة أخرى ، ومن إحساس بالقرب من الله ومن انشغال بالله سبحانه وتعالى عن خلقه جميعا سواء كانوا أهلا أو أقارب أو عشيرة أو غير ذلك من ذوي القربى .

إن المسافر لأداء فريضة الحج يترك كل شيء ويتفرغ لعبادة الله . يترك أهله .. وماله .. وأصدقاءه وسلطانه .. إنه يخرج من الحياة التي ألفها ليتقرب من الله في صلاة وطواف وتلبية وذكر وتسبيح لا يكل ولا يمل .. يخضع لله قلبا وقالبا وتزداد طاعته لربه كل يوم فتتنزل الرحمات على القلوب فتسيل الدموع من العيون ويشعر الإنسان أن الدنيا كلها بما فيها ومن فيها قد تضاءلت أمام القرب من الله ورضاه .

والحاج يترك كل شيء يألفه ، وهو في رحلته يتجرد من أشياء كثيرة ويلتزم الأدب مع الكون كله .. فلا يقترب من شجرة ليقطع أغصانها ، ومع الطير فلا يصيده ، ويتأدب مع الخلق فلا يفسد حجه بالجدال مصداقا لقوله تعالى : ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ ....(١٩٧)﴾ (البقرة) .

وهكذا يعلمنا الله عز وجل كيف يكون السلوك في الحج ويرشدنا إلى الفضيلة وإلى الخلق القويم في هذه الرحلة المباركة فلا جدال ولا تأفف ولا اعتراض ولا شجار .

والحج هو العبادة الوحيدة التي حددها الله سبحانه وتعالى زمانا ومكانا ، أما الزمان : فهو يوم التاسع من ذي الحجة . والمكان: هو عرفات . فلا يحق لك أن تؤدي مناسك الحج في أي شهر من شهور العام ، ولا أن تقف في يوم التاسع من ذي الحجة في مكان غير عرفات طالما أنت هناك لأداء فريضة الحج .

وبأداء فريضة الحج استوفيت أركان الإسلام الخمسة .. أي أتممت واستوفيت كل أركان الدين .. استوفيت الصلاة بذهابك إلى البيت الحرام لتصلي فيه .. والحج فيه زكاة حيث أنك تزكي بمالك ووقتك وبدنك في آن واحد في سبيل الله والحج فيه من الصوم لأنك تبتعد عن شهوات الجسد مادمت محرما .

والحج فيه أولاً وقبل كل شيء شهادة أن لا اله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، لأنك تأتي تلبية لأمر الله سبحانه وتعالى وطاعة له عز وجل وتقوم بمناسك الحج كما علمها لنا رسول الله ﷺ متزينا بأخلاقيات وآداب الحج .

الحكمة من الحج ودعوة للتأمل

تتجلى حكمة الحج في المساواة في العبودية إذ تتخلى النفس عن الكبر والتعالي وتتحلى بالتواضع والقناعة حيث يجتمع الناس من مختلف الأجناس والألوان والقبائل والأمم ولا تفاخر ، ولا حسب ، ولا نسب بينهم إلا للإسلام والإيمان ، والتقوى هى الميزان الحقيقي للإنسان .

وهذا ما وجهنا إليه رسول الله ﷺ في خطبته أيام الحج حيث أعلن مبدأ الإسلام العالمي : "**يا أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد ألا لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى**" .

ومفهوم الحج يكشف لنا رؤية تأملية روحية حيث تتشابه ملابس الإحرام بالكفن أليس في ذلك عظة وعبرة .

وإن ما تفعله وأنت بملابس الإحرام حيث التجرد الكامل من كل شيء سوى الله والسعي إلى الصفاء النفسي من خلال رد المظالم وطلب العفو ممن ظلمته أو آذيته ويتكرر أيضاً عندما تشعر بدنو الأجل حيث الاستغفار ودفع الديون ورد المظالم لإعداد النفس للقاء الله .

وهذا هو مفهوم الحج وتطهير النفس من كل المعاصي والذنوب مرضاة لله وحده ، وانتهاز فرصة الحج للسعي إلى طريق الصعود والارتقاء من التوبة والصدق والإخلاص والرضا والعفو وكظم الغيظ والصبر والشكر والبر والإحسان .

وبذلك تحقق مفهوم التقوى الذي أشار إليه رسولنا الكريم في خطبته الكريمة (حجة الوداع) فتستحق النفس أن تعرج معراج النور آمنة مطمئنة وذلك هو الفوز العظيم .

الحكمة في جعل الحج بمكة وما حولها :

ترجع الحكمة في ذلك إلى الأسباب التالية :

١- أن المسلمين إذا حجوا تذكروا أيام أبيهم إبراهيم الخليل عليه السلام ، والذكرى تنفع المؤمنين ، إذ هو الذي بنى البيت الحرام وأذن في الناس بالحج .

٢- إن هذه الأماكن هي موطن النبي ﷺ من مولده إلى هجرته .

٣- إنه المكان المطهّر الذي ظهر فيه الدين الحنيف ومنه سطع نوره في أنحاء الأرض .

٤- إنه المكان الذي استجاب الله فيه دعاء الخليل عليه السلام كما جاء في الآية الشريفة عنه :

قوله تعالى : ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ (إبراهيم) .

فاستجاب الله دعاءه وعمرت مكة وما جاورها من البلاد .

٥- إن تلك الأماكن الطاهرة المقدسة هي شبه جزيرة العرب وهي خالية من كل إنسان من غير المسلمين عملاً بالحديث الشريف : "**لا يجتمع دينان في جزيرة العرب**"[1] .

فالمسلمون في حجهم واجتماعهم لا يجدون من يضايقهم من أهل الأديان الأخرى وبذلك يتمكنون من تدبير أمورهم سواء أكانت من أمور الدنيا أو من أمور الدين[2] .

(١) الدكتور عبد الله شحاته / فقه العبادة ، ص ٣٧٦ .

(٢) بدران أبو العينين : العبادات الإسلامية ص ٢٣٠ (عن المرجع السابق ص ٣٧٧) .

٦- إن الله ضاعف الثواب لمن صلى في ثلاثة مساجد هي المسجد الحرام بمكة ، والمسجد النبوي بالمدينة ، والمسجد الأقصى بالشام ، وأكثر الثلاثة ثواباً ومضاعفة للأجر هو المسجد الحرام ثم المسجد النبوي ثم المسجد الأقصى .

روى البخاري ومسلم أن رسول الله ﷺ قال : "**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجدي هذا والمسجد الأقصى**" .

وفي الخبر (**استكثروا من الطواف بالبيت فإنه من أجل شيء تجدونه في صحفكم يوم القيامة ، وأغبط عمل تجدونه**)[1] .

من شهادات المنصفين :

١- من الأجانب من شهد بفضل هذه الشعيرة الإسلامية العظيمة وأشار بما لها من مآثر في النفس والحياة . من هؤلاء الأستاذة الإيطالية الدكتورة فاغليري في كتابها الذي ترجم بعنوان "**دفاع عن الإسلام**" قالت فيه عن الحج :

---

١) الإمام الغزالي : إحياء علوم الدين (كتاب أسرار الحج ج١ ص ٢١٦ وعليه تعليق الحافظ العراقي ، وقد نقل عن الحاكم أنه صحيح على شرط الشيخين) .

"على كل مسلم إذا توفرت فيه بعض الشروط أن يقوم بالحج إلى مكة مرة واحدة في حياته على الأقل ، ومن طبيعة القوى العميقة المكنونة في هذه الشعيرة ، أن يعجز العقل البشري عن اعتناقها إلا في القليل النادر .

ومع ذلك فإن ما يمكن استيعابه من تلك القوى ، في سهولة ويسر ، يتكشف عن حكمة كاملة ، فليس في استطاعة أحد أن يفكر في الفائدة التي يجنيها الإسلام من اجتماع المسلمين السنوي في مكان واحد ، يسعون إليه من مختلف أرجاء العالم .

إن العرب ، والفرس ، والأفغان ، والهنود ، وأبناء شبه جزيرة الملايو ، وأبناء المغرب ، والسودان ، وغيرهم ، كلهم يتوجهون نحو الكعبة المقدسة ، لمجرد التماس الغفران من الله الرحمن الرحيم . وهم إذ يلتقون في مثل ذلك المكان ، لمثل هذا الغرض إنما ينشئون صلات جديدة من المحبة والأخوة . . .

. . . مرة واحدة في حياة المسلم على الأقل ، تلغى الفوارق كافة بين الفقير والغني ، بين الشحاذ والأمير ، إلغاءً تاماً ، ذلك أن كل حاج مسلم . يلبس خلال أداء تلك الفريضة المقدسة ، الثياب البسيطة نفسها ، ويخلف وراءه حلله الشخصية ويتخذ لنفسه شعاراً

واحداً ليس غيره هو كلمة "**الله أكبر**" ، والشعائر التي يتعين على الحجاج أداؤها من قبل الطواف ببيت الله (الكعبة) توقظ في نفسه ذكرى الأنبياء ، والآباء العظام ، الذين عاشوا في المواطن نفسها ، خلال العصور السالفة ، إنها تعيد إلى الحياة أعمال سيدنا إبراهيم ، وابنه إسماعيل عليهما السلام ، وزوجته هاجر وهي جميعها توقظ في الحاج النزعة إلى تقليدهم في تعاطفهم وفي خضوعهم لمشيئة الله" .

٢- يقول الدكتور فيليب في كتابه "**تاريخ العرب**" عند كلامه على الحج عند المسلمين :

"ولا يزال الحج على مر العصور نظاماً لا يبارى في توثيق عرى التفاهم الإسلامي والتآلف بين مختلف طبقات المسلمين ، وبفضله يتسنى لكل مسلم أن يكون رحالة مرة على الأقل في حياته، وأن يجتمع مع غيره من المؤمنين اجتماعاً أخوياً ، ويوحد شعوره مع شعور سواه من القادمين من أطراف الأرض ، وبفضل هذا النظام يتيسر للزنوج والبربر والصينيين والفرس والترك والعرب وغيرهم أن يتآلفوا لغة وإيماناً وعقيدة ، وقد أدرك الإسلام نجاحاً لم يتحقق لدين آخر من أديان العالم في القضاء على فوارق الجنس واللون والقومية خاصة بين أبنائه ، فهو لا يعترف بفرق بين البشر إلا بالتقوى"[1] .

---

(١) تاريخ العرب ج١ ص١٨٧ ط٢ (عن فقه العبادة للدكتور عبد الله شحاته ص٣٨٠) .

الوقت المحدد لأداء الحج

كان الزمن ألعوبة في يد العرب يقدمونه ويؤخرونه ويحرمون شهرا ويحلون آخر حتى اضطربت الشهور والأيام ، وأصبح كل منها لا يمثل واقعه الصحيح من حيث الحلال والحرام ولا يحتل موقعه الصحيح على مسار نهر الزمن المتدفق منذ الأزل وإلى الأبد ، ولا يأتي في ترتيبه الصحيح بين أيام الله وأشهره الحرم .

وظل ذلك هو حال الزمان إلى أن حج الرسول ﷺ حجة الوداع فخطب الناس قائلا :

"أيها الناس إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض وأن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ، ثلاث متواليات هي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب الفرد ، إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا" . وتلا الآية الكريمة : ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٞ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ

كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ...﴿٣٧﴾ (التوبة) .

وأشهر الحج هي : شوال وذو القعدة والأيام العشر الأولى من ذي الحجة (أي المدة بين عيد الفطر حتى قبيل فجر عيد الأضحى المبارك) .

وهكذا تتعانق قداسة المكان – البيت الحرام والأرض المقدسة – مع قداسة الزمان – الأشهر الحرم التي تغطي موسم الحج ذهابا وعودة حتى تتم رحلة العمر وعبادته في أمن وأمان .

وبعد غروب اليوم التاسع من دي الحجة يبدأ الحجيج في مغادرة عرفة إلى المزدلفة ، والمزدلفة جبل يدعى " قزح " وهو " المشعر الحرام " وذكر الله والدعاء فيه من شعائر الحج إذ يقول الله تعالى في سورة البقرة : ﴿...فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ...﴿١٩٨﴾ .

بناء الكعبة

الحج من الشرائع السماوية القديمة فقد ورد في الأثر في الشرائع القديمة أن أبا البشر آدم عليه السلام قد حج إلى البيت الحرام، وأن الملائكة قد هنأت آدم بحجه .

يقول الله تعالى : ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾﴾ (آل عمران) .

والبيت المقصود في الآية الكريمة هو بيت الله الحرام ، أو البيت العتيق . أما متى وضع البيت ؟ ومتى أقيم ؟ فيقال إنه وضع للناس في الأرض منذ خلق الله آدم عليه السلام وظل الناس يطوفون به على مر الأجيال القديمة ، ثم اندثرت آثاره إلى أن أظهره الله لسيدنا إبراهيم عليه السلام وعرفه مكانه وكشف له عن أساساته .

في قوله تعالى : ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ ... ﴿٢٦﴾﴾ (الحج) .

ثم أمر الله إبراهيم أن يكشف ـ مع ابنه إسماعيل ـ عن أساس البيت وقواعده ، وأن يقيما على هذه القواعد بنيانا قويا لكي يعود مرة أخرى " بيت الله الحرام " ومكان الطواف بالحج للبشر .

في قوله تعالى : ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾ (البقرة) .

والمناسك هي أسلوب العبادة الذي يرضاه الله منا ، وشعائر الحج من العبادات التي أرشدنا الله سبحانه وتعالى إليها .

ويقال إن سيدنا إبراهيم ارتفع ببناء الكعبة إلى أن ارتفع البنيان عن طول قامته فطلب من ابنه إسماعيل أن يأتيه بحجر يقف

عليه ، واستطاع بواسطة هذا الحجر أن يرتفع بالبناء ، ويقال إن هذا الحجر الذي وقف عليه إبراهيم هو مقام إبراهيم وهو حجر موجود بالفعل بمكان الطواف حول البيت في مواجهة الكعبة ومحاط بحزام من النحاس الأصفر .

وقد وردت الإشارة إلى هذا الحجر في القرآن الكريم : في قوله تعالى : ﴿...وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ...﴿١٢٥﴾﴾ (البقرة) .

ويوجد في الركن الجنوبي الشرقي من الكعبة "الحجر الأسود" وقد اختلفت الآراء في أصل الحجر الأسود ومصدره ، فقيل إنه نزل مع آدم من الجنة والحجر الأسود هو العلامة التي يبدأ منها أداء ركن الطواف بالبيت وهو أحد أركان الحج .

ولقد كان رسول الله ﷺ يستلم الحجر الأسود بملامسته له ويقبله ، وإن لم يتيسر أشار إليه ، ولا تجوز المزاحمة التي قد تلحق الضرر بالغير وخاصة المرأة . . فالتي لا تستطيع أن تقبل الحجر الأسود فلتشر إليه من بعيد ، ولا تعرض نفسها للأذى .

وتقبيل الحجر الأسود سنة عند الاستطاعة وبدون إضرار بالناس ، وقد قال النبي ﷺ لعمر :

"يا أبا حفص : إنك رجل قوي ، فلا تزاحم على الركن ، فإنك تؤذي الضعيف ، ولكن إذا وجدت خلوة فاستلم ، وإلا فكبر وامض[1]" .

وفي رواية أخرى :

"يا عمر إنك رجل قوي فلا تزاحم على الحج فتؤذي الضعيف إن وجدت خلوة فاستلمه وإلا فاستقبله وهلل وكبر[2]" .

وعن هذا الحجر قال رسول الله ﷺ :

"يأتي هذا الحجر يوم القيامة له عينان يبصر بهما ولسان ينطق به ويشهد لمن استلمه بحق[3]" .

---

(١) رواه الشافعي .

(٢) رواه البخاري ومسلم .

(٣) أخرجه أحمد والترمذي وحسنه ابن ماجة وابن خزيمة وابن حبان وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان عن ابن عباس .

وقد تعرضت الكعبة ـ مثلما تعرض الحجر الأسود لكثير من الحوادث على مر العصور مثل الحريق والسيل ، واهدم أكثر من مرة، ويقال إن الكعبة قد بنيت خمس مرات ، الأولى على عهد آدم عليه السلام ، والثانية عندما أعاد إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام بناءها ، والثالثة حينما بنتها قريش قبيل الإسلام بخمسة أعوام ، ثم أعاد عبد الله بن الزبير بناءها مرة رابعة عندما تعرضت للحريق ثم أعاد الخليفة عبد الملك بن مراون البناء بعد هدم ما بناه ابن الزبير .

وكان ما حول الكعبة فضاء تحيط به البيوت وكان الخليفة الثاني عمر بن الخطاب هو أول من بنى جدارا حول الكعبة ، وكان أول من كساها هو تبع الحميري قبل ٧٠٠ عام من ظهور الإسلام ، واستمرت كسوة الكعبة منذ ذلك التاريخ ، وقد كساها الرسول ﷺ "بالقباطي" وهو نوع من النسيج الرقيق الأبيض كان يصنع في مصر ، وجرى الخلفاء الراشدون من بعده على عادته، وتولت مصر صنع الكسوة لأعوام طويلة ، وتصنع كسوة الكعبة الآن في مصنع خاص بها إلى جوار مكة المكرمة .

ويبلغ ارتفاع الكعبة الآن ١٥ مترا وطول أحد جدرانها ١٢ مترا والآخر ١٠ أمتار ، والمسافة بين باب الكعبة والحجر الأسود

تسمى "الملتزم" يوجد في مواجهة الضلع الشمالي للكعبة جدار منخفض على شكل نصف دائرة يسمى "الحطيم" والمسافة بين الحطيم وجدار الكعبة تسمى "حجر إسماعيل" والحطيم يعتبر جزءاً من الكعبة ولذلك يجب الطواف من خارجه .

الأذان

وبلاغ الدعوة بالحج

لما فرغ الخليل إبراهيم عليه السلام من بناء الكعبة أمره الله بأن يدعو الناس إلى الحج بأن يؤذن في الناس بالحج . والتأذين بالحج كالتأذين بالصلاة وهو الإعلام بدخول وقت الحج أو الصلاة .

﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ۝٢٧﴾ (الحج) .

ولكن كيف سيبلغ إبراهيم صوته إلى الأماكن البعيدة .. من الممكن أن يصل صوته إلى الأماكن القريبة فقط ومن هو بالحرم فكيف سيتم البلاغ إلى أبعد من ذلك .

أوحى الله عز وجل إلى إبراهيم أن عليه الأذان وعلى الله البلاغ .

فوقف إبراهيم عليه السلام على جبل أبي قبيس تجاه الكعبة فنادى بأعلى صوته : "**يأيها الناس إن الله قد كتب عليكم الحج فحجوا**" .

فأبلغ الله صوت إبراهيم الخليل إلى كل من قدر له الحج في يومها وحتى قيام الساعة ، فلما سمعوا الأذان لبوا الدعوة إلى الحج ، وهم في أصلاب الرجال وأرحام الأمهات قائلين :

"لبيك اللهم لبيك"

ولقد جعل الله سبحانه وتعالى بيته الحرام قبلة للمؤمن يتجه إليه كل يوم خمس مرات في الصلاة . وهكذا شاءت إرادة الله أن ينشغل فؤاد المؤمن بهذا البيت وهو بعيد عنه إلى أن يؤدي فريضة الحج ليتم بها نعمة الإيمان بالله .

قصة الحج

عندما تزوج سيدنا إبراهيم عليه السلام من زوجته هاجر المصرية الأصل وأنجب منها سيدنا إسماعيل عليه السلام أمر الله سيدنا إبراهيم عليه السلام بأن يرحل مع السيدة هاجر ووليدها إسماعيل عليه السلام من القدس إلى وادي مكة حيث نزلوا قرب المكان الذي اندثرت فيه أطلال الكعبة بيت الله العتيق .

ويقال إن السيدة سارة زوجة سيدنا إبراهيم عليه السلام الأولى هي التي اختارت له زوجته الثانية هاجر ، لكي تنجب له الولد لأن سارة كانت عقيما لا تنجب قبل أن تبشرها الملائكة بإسحق ومن بعد إسحق يعقوب .

ولما وصل سيدنا إبراهيم عليه السلام وهاجر إلى وادي مكة لم يكن الله قد كشف لإبراهيم عليه السلام عن مكان القواعد من البيت بعد ، وكان وادي مكة مكانا مهجورا لا زرع فيه ولا ماء وأمر الله إبراهيم عليه السلام أن يترك هاجر وإسماعيل ثم يرجع إلى القدس في الشام .

قوله تعالى : ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ (إبراهيم) .

وبقيت هاجر وإسماعيل عليهما السلام في موقعهما هذا إلى أن نفد ما معهما من طعام وماء وعطش إسماعيل ، وكان إلى جوارهما مكان مرتفع هو جبل " الصفا " صعدت السيدة هاجر فوقه لتنظر حولها لعلها ترى على البعد مصدرا للماء ولما لم تجد شيئا نزلت مسرعة تجري إلى مكان مرتفع آخر هو جبل " المروة " وهو يبعد حوالي ٣٧٥ مترا عن جبل الصفا لكنها لم تجد الماء .

وخافت الأم على طفلها الوليد ، فأخذت تسعى وتجري بين الصفا والمروة بحثا عن الماء ، وظلت تفعل ذلك ٧ مرات لكنها لم تجد أثرا للماء ، فعادت هاجر إلى مكان إسماعيل لتفاجأ بوجود نبع ماء يتفجر عند قدمي إسماعيل عليه السلام ، وأخذ الماء يتدفق شيئا فشيئا فأخذت منه الأم لتروي وليدها وأرتوت . ثم حاولت التحويط على الماء حرصا عليه وهي تقول :

"**زمي .. زمي**" أي . . تجمعي .. تجمعي .

ولذلك سميت عين الماء " زمزم " ومازالت زمزم في مكانها المعروف بين الصفا والمروة منذ ذلك الزمان .

هذه هي قصة الصفا والمروة ، وقصة زمزم ، والسعي بين الصفا والمروة من شعائر الحج لقوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾﴾ (البقرة) .

إن سعي السيدة هاجر من الصفا إلى المروة والعكس ٧مرات باحثة عن ماء لوليدها الرضيع سيدنا إسماعيل عليه السلام : هو أساس نسك السعي بين الصفا والمروة في شعيرة الحج .

ويعتبر السعي بين الصفا والمروة ركنا أساسيا من أركان الحج ، والحاج الذي يسعى بين الصفا والمروة ٧ مرات يترسم خطى هذه السيدة مستشعرا ما كانت تشعر به من رحمة وحنان .

وإذا كانت رحمتها وحنانها إنما كان من أجل ابنها الرضيع فإن الرحمة التي ينبغي أن يستشرف إليها الحاج راجيا أن تملأ نفسه وأن تفعم جوانحه إنما هي الرحمة للإنسانية جمعاء ....

الرحمة بكل من يحس بالألم أو يشعر بالضيق بسبب ما يحل به من جوع أو ظمأ ، أو بسبب ما يحيط به من مكر وكيد أو بسبب ما يشعر به من خوف وقلق ، الرحمة بكل من كان في حاجة إلى الرحمة .

الحكمة من رمي الجمرات

إن الحكمة من رمي الجمار في الحج إنما هي رجم مصدر من أهم مصادر الشر والإثم والمعصية وهو إبليس .

وتبدأ قصة الرجم عندما استعد سيدنا إبراهيم عليه السلام لتنفيذ الرؤيا التي رآها طاعة لأمر الله حيث رأى أنه يذبح ابنه إسماعيل عليهما السلام ، ورؤيا الأنبياء حق ، وتهيأ كل شيء لتنفيذ الرؤيا بعد أن أخبر سيدنا إبراهيم عليه السلام ابنه بأمر الله ، والحكمة في مشاروة الابن أن الوالد أحب أن يأتي ابنه رغبة وطاعة فيكون له الأجر والثواب واستسلم الأب والأبن لامر الله بحب ورضا .

وجاء الشيطان يوسوس إلى إبراهيم عليه السلام موحيا بأن الأمر لا يخرج عن أن يكون رؤيا ، وكم من الرؤى من أضغاث الأحلام وهل من العقل أن يذبح إنسان ابنه مطيعا رؤياه .

وأحس سيدنا إبراهيم عليه السلام بأن الشيطان الذي أمامه في صورة شيخ كبير يريد أن ينفذ إلى قلبه وإلى تفانيه في الله ، وإلى موطن اليقين والرضا من قلبه ، وعرف أنه يريد أن يفسد عليه طاعته لله .

فرجم الشيطان بسبع حصيات ورده خاسئا مدحورا .

و لم ييأس الشيطان وهو العنيد اللجوج ، فانصرف عن الأب إلى الابن ، وأحس الابن بالمحاولة الخبيثة وعرف انها محاولة شيطانية فرجم الشيطان بسبع حصيات .

و لم ييأس الشيطان للمرة الثالثة فذهب مسرعا إلى الأم يحذرها من ذبح ابنها ويطلب منها أن تنقذه قبل فوات الأوان ، ولكنها رجمت الشيطان لثقتها بأن زوجها لا يتصرف إلا في إطار الوحي ، قد رجمته هي الأخرى بسبع حصيات .

وهكذا رجم الجميع مصدرا من أهم مصادر الشر وهو الشيطان ، وأصبح هذا السلوك من مناسك الحج وبه تنتهي أعمال الحج حيث إن رمى الجمرات يبلور عزم الحاج على هجر المعصية والابتعاد المطلق على الإثم . فإنك حيثما تأتي لترجم الشيطان فأنت في الواقع تريد أن تسد عليه المداخل التي يدخل منها إلى نفسك .

وقد أقيمت قريبا من وادي "منى" علامات في أماكن ظهور الشيطان وسميت العلامة التي أقيمت في مكان ظهوره لأول مرة "الجمرة الكبرى" كما أقيمت العلامتان الأخريان في مكان معاودة الشيطان للمرة الثانية والثالثة واسمهما " الجمرة الوسطى "و" الجمرة الصغرى " ويعتبر رجم هذه العلامات الثلاث رجما للشيطان .

افتداء سيدنا إسماعيل

بذبح عظيم

كان سيدنا إبراهيم يتردد على مكة ليطمئن على زوجته وابنه إلى أن رأى سيدنا إبراهيم في منامه أنه يذبح ولده "إسماعيل عليه السلام" ولما كان يعلم أن الرؤيا التي رآها في المنام أمر من الله عز وجل فقد قال لولده إسماعيل كما جاء في القرآن الكريم :

﴿.......يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ (الصافات) .

واستعد إبراهيم لذبح ولده الذي نام على جبينه وحينئذ أوحى الله إلى إبراهيم بأنه سبحانه فدى سيدنا إسماعيل بذبح عظيم جزاء لتصديق سيدنا إبراهيم الرؤيا والتسليم بقضاء الله وإطاعة أمره .

قال تعالى : ﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ

نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾﴾ (الصافات) .

ومن هنا جاء معنى ذبح الضحية وعيد الأضحى المبارك . ويعتبر ذبح الأُضحية لدى المسلمين في أول أيام عيد الأضحى احتفاء بذكرى افتداء سيدنا إسماعيل عليه السلام ولذلك سمي عيد الأضحى وليس على الحاج أضحية لأنه مسافر وليس على المسافر أضحية فإذا ذبح الحاج ذبيحة فإنها تسمى "الهدي" وهو ما يهديه الحاج إلى بيت الله وسكان الحرم من ذبائح .

ويلتزم بتقديم الهدي الحاج القادر إذا كان قارنا أي حاجاً ومعتمراً بإحرام واحد ، وإذا كان متمتعا أي إذا فصل بين العمرة والحج ليحرم للحج من جديد حيث يقول الله عز وجل: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ .....﴿٣٧﴾﴾ (الحج) .

قال الله تعالى : ﴿.....وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ (الحج) .

ولقد ربط سبحانه وتعالى شعائره بالتقوى ، والتقوى هي أن يقي الإنسان نفسه من غضب الله وعذابه بالابتعاد عن ارتكاب المعاصي والالتزام بمنهج الله تعالى الذي رسمه لنا في القرآن الكريم ، وبينه لنا رسول الله ﷺ فنفعل ما أمرنا الله تعالى به ونبتعد عما نهانا عنه .

ويتضمن مفهوم التقوى أيضا أن يتوخى الإنسان دائما في أفعاله الحق والعدل والأمانة والصدق بأن يعامل الناس بالحسنى ، ويتجنب العدوان والظلم ، وأن يؤدي الإنسان كل ما يوكل إليه من أعمال على أحسن وجه لأنه دائم التوجه إلى الله تعالى في كل ما يقوم به من أعمال ابتغاء مرضاته وثوابه .

وبهذا المعنى تصبح التقوى طاقة موجهة للإنسان نحو السلوك الأفضل والأحسن ونحو نمو الذات ورقيها ، وتجنب السلوك المنحرف الشاذ .

ولا يرتبط تعظيم شعائر الله بكيفية عمل أو أداء هذه الشعائر فقط وإنما نعظمها عباده وخلقاً وسلوكاً مما يكون له الأثر الفعال في حياة الإنسان .

ففي نفس الوقت الذي يحتفل فيه المسلمون بـذبح الأضـاحي يحتفلون بقصة فداء الله لسـيدنا إسماعيـل بـذبح عظيـم تكريمـاً لطاعـة سيدنا إبراهيم لأمره سبحانه وتعـالى ، وكانـت طاعتـه إشـارة إلى أن المسلم هو الذي يحب الله أكثر مما يحب نفسه أو أبناءه .

لقد كان ابتلاء الله لخليله إبراهيم ابتلاءً مبينا ، وكـان سـيدنا إسماعيل ابنه من الصابرين على هذا البلاء .

وهنا أثبت إبراهيم بطاعته لأمر الله بأن حبه لله أعظـم وأهـم من أي شي آخر .. فجاءت رحمة الله ولمسات حنانه له بأن فدى الله إسماعيل بذبح عظيم وبذلك تكون طاعة سيدنا إبراهيم عليـه السـلام لربه عيدا يحتفل به المسلمون كل عام .. عيدا يذكرهم بمعنى الإسلام الحقيقي الذي كان عليه إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ، ويذكرهم بقصة حب الإنسان لله وطاعته لأمره حبا له هو وحده .

وبذلك يصبح عيد الأضحى المبارك هو عيد الحب العظيم .

وإذا تأملنا في قصة إبراهيم عليه السلام نجد أنها قصـة تبلـور صفة الحب لله الذي تغلغل في كيان سيدنا إبراهيم عليه السـلام حتـى أصبح يحيا به وله ، وما أثمر هذا الحب من صفة الطاعة لأمـر الله حبـا له وحده ، والصبر على بلاء الله تقربا إلى الله .

وتتبلور أمامنا في هذا البلاء العظيم وكما تكشف لنا الأحداث من قصة إبراهيم عليه السلام صفة الصبر الذي اتصف به سيدنا إبراهيم عليه السلام ، صبره على ابتلاء الله له حبا فيه وحده ، وصبر إسماعيل عليه السلام حيث تقبل أمر الله برضا وحب .. فأنعم الله عليهما بلمسات حنانه وآيات حبه ونسمات رضاه بأن أنقذهما جزاء على صبرهما وطاعتهما لأمر الله.

وإن دل هذا كله على شي فإنما يدل على أن الإنسان الذي يسلك طريق الحب الإلهي وتحيا نبضاته بحب الله تهون أمور الدنيا أمامه ولا يسعد بشيء إلا بحب الله فقط يتحمل ويسلك طريقه حبا لله ، ويصبر على ابتلاء الله له حبا فيه حامدا شاكرا راضيا سعيدا بما آتاه الله طامعا في رحمة الله ورضاه ساعيا إلى القرب منه وحده .

وما أحوجنا في هذه الأيام ونحن نشاهد صور الإرهاب في كل مكان إلى أن نقف وقفة مع أنفسنا ونحن على جبل عرفات متضرعين إلى الله سائلين إياه الرحمة والمغفرة فنتذكر قصة إبراهيم عليه السلام قصة الحب العظيم ونستفيد منها دروسا فيها العبرة والموعظة مليئة بلسمات حية ناطقة وشاهدة بالحب الإلهي فنتخلص من شوائب الحقد والحسد والكراهية والأنانية والطمع الذي أصبح

سائدا في هذه الأيام ونطهر أنفسنا بالحب والخير والإنسانية ممتثلين أمر الله تعالى بأن نتعاون على البر والتقوى حبا لله ، وحبا في الله وتقربا إلى الله .. وأن نجعل حب الله هو القانون الذي يحكم حياتنا وهو الرسالة المثلى التي تقودنا إلى القرب من الله .

تكريم المرأة



تكريم القرآن الكريم للمرأة

ربما كانت الحضارة المصرية القديمة هي الحضارة الوحيدة التي خولت المرأة " مركزا شرعيا " تعترف به الدولة والأمة ، وتنال به حقوقا في الأسرة والمجتمع تشبه حقوق الرجل فيها . ولا تتوقف على حسن النية من جانب الآباء والأبناء والأقربين .

أما الحضارات الأخرى فكل ما نالته المرأة من مكانة مرضية فإنما كانت تناله بباعث من بواعث العاطفة على حاليها من حميد وذميم .

كانت تنال المحبة من بنيها بعاطفة الأمومة التي يحسها الأبناء نحو أمهاتهم ، ويعم الإحساس بها طوائف من الأحياء لم تبلغ مبلغ الإنسان من الفهم والخلق ، و لم يكن لها عرف أدبي في حياتها الاجتماعية .

جاء القرآن الكريم بحقوق مشروعة للمرأة لم يسبق أن نالتها في دستور شريعة أو دستور دين ، وأكرم من ذلك أنه رفعها من المهانة إلى مكانة الإنسان المعدود من ذرية آدم وحواء ، بريئة من رجس الشيطان ومن حطة الحيوان .

وأعظم من جميع الحقوق الشرعية التي كسبتها المرأة من القرآن الكريم لأول مرة أنه رفع عنها لعنة الخطيئة الأبوية ووصمة الجسد المرذول .. فكل من الزوجين قد وسوس لهما الشيطان واستحقا الغفران والتوبة والندم حيث يظن الكثيرون أن آدم استجاب لغواية الشيطان بسبب حواء ، وهذا مفهوم خاطئ حيث يبرئها القرآن الكريم من ذلك :

في قوله تعالى : ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ .....﴿٣٦﴾﴾ (البقرة) .

﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا....﴿٢٠﴾﴾ (الأعراف) .

﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ (الأعراف) .

وليس على ذرية آدم وحواء من بنين وبنات جريمة تلحقهم بعد أبويهم أو تلحق أحدا من الأبناء بجريمة الآباء .

قوله تعالى : ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٣٤)﴾ (البقرة) .

وصحَّ مكان المرأة في الحياة الجسدية كما صحَّ مكانها في الحياة الروحية ، بما فرضه القرآن الكريم على الإنسان من رعاية جسده والمتعة الطيبة بخيرات أرضه ورغبات نفسه ، فبرئت المرأة من لعنة الجسد ، وارتفعت عن الوصمة التي علقت بها فجعلتها في خلقتها قرينة لشهوات الحيوان وحبائل الشيطان . ينجو من الشيطان من نجا منها ويتنزه عن الحيوانية من تنزه عن النظر إليها .

لا جرم كان تصحيح النظر إلى مكان المرأة ناحية واحدة من نواح شتى في ذلك النظام الأدبي الشامل الذي يصحح النظر إلى حياة الروح وحياة الجسد ، وإلى بواعث الخير والشر وإلى موازين التبعة والجزاء ، وقوامه كله حق الوجود وحق المعيشة للكائن الحي من ذكر وأنثى ومن كبير وصغير ، فلا يكتفي القرآن من المسلم باجتناب وأد البنات خشية الإملاق أو خشية العار لأنها درجة لا تعدو أن تكون نجاة من ضراوة الوحشية لا ترتقي به إلى درجة

الإنسان الأمين على حق الحياة ، المؤمن بنصيب كل موجود من نعمة العيش والرعاية بل يأبى القرآن للمسلم أن يتبرم بذرية البنات وأن يتلقى ولادتهن بالعبوس والانقباض .

كقوله تعالى : ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ۚ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ۝﴾ (النحل) .

وتتساوى رعاية الإنسان لأبيه وأمه ، كما تتساوى رعايته لبنيه وبناته ، وقد تختص الأمهات بالتنويه في هذا المقام ، فإذا وجب الإحسان للوالدين معا فالوالده هي التي تعاني من آلام الحمل والوضع ما لا يعانيه الآباء :

قوله تعالى : ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ .... ۝﴾ (الأحقاف) .

وحث النبي ﷺ على الوصية بالأم ؛ لأن الأم أكثر شفقة وأكثر عطفا ؛ لأنها هي التي تحملت آلام الحمل والوضع والرعاية والتربية ، فهي أولى من غيرها بحسن المصاحبة ورد الجميل ، وبعد الأم يأتي دور الأب ؛ لأنه هو المسئول عن النفقة والرعاية - فيجب أن يرد له الجميل عند الكبر .

الإسلام قدم الأم بالبر على الأب لسببين :

أولاً : أن الأم تعاني بحمل الابن (سواء كان ذكراً أو أنثى) وولادته وإرضاعه والقيام على أمره وتربيته أكثر مما يعانيه الأب ، وجاء ذلك صريحاً في قوله تبارك وتعالى :

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ (لقمان) .

ثانياً : إن الأم بما فطرت عليه من عاطفة وحب وحنان . . أكثر رحمة وعناية واهتماماً من الأب . . فالابن قد يتساهل في حق أمه عليه لما يرى من ظواهر عطفها ورحمتها وحنانها . . .

لهذا أوصت الشريعة الإسلامية الابن بأن يكون أكثر برا بها وطاعة لها حتى لا يتساهل في حقها ، ولا يتغاضى عن برها واحترامها وإكرامها .

ومما يؤكد حنان الأم وشفقتها أن الابن مهما كان عاقا لها ، مستهزئا بها ، معرضا عنها . . فإنها تنسى كل شيء حين يصاب بمصيبة أو تحل عليه كارثة .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :

"جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله : من أحق الناس بحسن صحابتي ؟ قال : أمك . قال : ثم من ؟ قال : أمك . قال ثم من : قال : أمك ؟ قال : ثم من ؟ قال : أبوك"(١) .

والصحبة والمصاحبة هي الرفقة والعشرة ، وأولى الناس بحسن المصاحبة وجميل الرعاية ، ووافر العطف والرفقة الحسنة هي الأم التي حملت وليدها وهناً على وهن .

قال القرطبي : إن هذا الحديث يدل على أن محبة الأم والشفقة عليها ينبغي أن تكون ثلاثة أمثال محبة الأب ، وذلك أن

---

(١) متفق عليه .

صعوبة الحمل ، وصعوبة الوضع ، وصعوبة الرضاع والتربية تنفرد بها الأم دون الأب فهذه ثلاث مشقات يخلو منها الأب[1]

وكان من أشد ما يؤلم النبي ﷺ أن يسمع الرجل يعير الرجل بأمه . ولا يستطيع إنسان أن يحصي أو يقدر حق الآباء والأمهات على الأبناء ، ولو استطاع الأبناء أن يحصوا ما لاقاه الآباء والأمهات في سبيلهم لاستطاعوا إحصاء ما يستحقونه من البر والتكريم ولكنه أمر فوق الوصف خاصة ما تحملته الأم من حمل ، وولادة ، وإرضاع وسهر بالليل ، وجهد متواصل بالنهار في سبيل الرعاية المطلوبة .

بنيت حقوق المرأة في القرآن الكريم على أعدل أساس يتقرر به إنصاف صاحب الحق ، وإنصاف سائر الناس معه ، وهو أساس المساواة بين الحقوق والواجبات .

وللمرأة مثل ما للرجل وعليها مثل ما عليه :

كقوله تعالى : ﴿.....وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ...(٢٢٨)﴾ (البقرة) .

---

(١) تفسير القرطبي (١٠/٢٣٩) .

وكل منهما قوة عاملة في دنياه ، يطلب منه عمله ويحق له جزاؤه .

كقوله تعالى : ﴿...أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَـٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ...﴾ (آل عمران) .

ولكل منهما سعيه وكسبه :

كقولـه تعـالى : ﴿...لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ...﴾ (النساء) .

وجعل الله عز وجل المرأة مساوية للرجل في المسئولية والجزاء والثواب والعقاب .

قـال تعـالى : ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَـٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ...﴾ (آل عمران) .

ولقد كرم الإسلام بني آدم عامة والمرأة خاصة وليدة وناشئة وزوجة وأما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ۝٧٠﴾ (الإسراء) .

خلق الله آدم بيده ونفخ فيه من الروح ، وأسجد له الملائكة وزوجه حواء وأسكنه فسيح الجنة وأمره بالطاعة ونهاه عن المعصية .

فالإسلام أزاح عن المرأة أفكارا متخلفة علقت بها ، مثل فكرة أن المرأة شر أو أنها طريق الشيطان ، أو أنها هي التي أغرت آدم بالأكل من الشجرة . حيث أفاد القرآن الكريم أنهما اشتركا في الأكل سويا ، وتابا إلى الله تعالى ، وإنهما مستويان في أن لكل منهما حقوقا وعليه واجبات .

كما جعل الإسلام للمرأة حقا ثابتا فهي معصومة الدم والعقل والعرض والمال ، ولها شخصية مستقلة تماما حتى لو تزوجت، فملكيتها لمالها ونسبها ورأيها ثابتة وقوية .

أما الولاية العامة فهي للرجل ، وهي ولاية مودة ورحمة لا تسلط وغلظة .

وقد شاركت المرأة في تقبل الدعوة ، وفي الهجرة في سبيل الله وفي الجهاد بما يناسب طبيعتها ، وفي التربية والتعليم ، وفي رواية السنة المطهرة ، وفي العبادات الجماعية كصلاة الجماعة ، وصلاة الجنازة وأداء الحج ، والزكاة ورعاية الضعفاء .

وجعل سبحانه ثواب الحياة الطيبة لكل من الذكر والأنثى ولا فرق بينهما والميزان هو التقوى والعمل الصالح .

قوله تعالى : ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ....﴿٩٧﴾﴾ (النحل) .

فالشريعة الإسلامية تقر للمرأة بالحق في المساواة في الكرامة الإنسانية والحقوق المتفرعة عنها ، وتضمن لها حق الحياة والمساواة أمام القانون .

وتعطى للمرأة حق التزوج واختيار شريك حياتها برضاء كامل ، كما تعطيها حق التملك وحرية التفكير والاعتقاد ، وحرية الرأي والتعبير ، والمشاركة في الحياة الاجتماعية والسياسية ، وحرية العمل والمساواة في الأجر ، وحرية التعلم والمشاركة في الإبداع العلمي والثقافي في المجتمع .

ويجب على المرأة المسلمة أن تدرك مسئوليتها تجاه ما قرره لها الشرع ، وأن تمارسه دون انفلات أو لهث خلف معطيات الحضارات الأخرى والتي لا تناسب المرأة المسلمة ، خاصة أن الله سبحانه وتعالى قد كرمها بشرع عظيم رد لها فيه كل اعتبار وكرامة.

وكما كرم الله عز وجل المرأة في القرآن الكريم ، كان لها حظ من الاهتمام والرعاية عند رسول الله ﷺ .



اهتمام رسول الله ﷺ

بالمرأة

كان رسول الله ﷺ يهتم بالمرأة اهتماماً بالغاً ، وكان هذا واضحا في سلوكياته وأخلاقه مع زوجاته ونساء المسلمين . وفي رحلته للحج أوصى في خطبة الوداع المسلمين بالنساء خيرا .

في السنة العاشرة من الهجرة أذن في الناس أن الرسول ﷺ حاج في عامة هذا ، فقدم المدينة خلق كثيرون .. كل يريد أن يأتم برسول الله ﷺ ويقتدي بمثل عمله .

وفي الخامس والعشرين من ذي القعدة من السنة العاشرة للهجرة سار النبي ﷺ وأخذ نساءه معه ، وتبعه جمع زاخر من المسلمين جاءوا من أماكن متفرقة لأداء فريضة الحج مع رسول الله ﷺ ، تجمع بينهم المودة الصادقة والإخوة الإسلامية .. ساروا يحدوهم الإيمان وتملأ قلوبهم الغبطة الصادقة لسيرهم إلى بيت الله الحرام ليؤدون فريضة الحج الأكبر .

فلما بلغوا "ذا الحليفة" نزلوا وأقاموا ليلتهم بها فلما أصبحوا أحرم النبي وأحرم المسلمون معه ، فلبس كل منهم إزاره ورداءه وصاروا جميعا بزي واحد هو أبسط ما يكون وقد حفظوا بذلك المساواة بأسمى معانيها وأبلغها .

وتوجه محمد ﷺ بكل قلبه إلى ربه ونادى ملبيا والمسلمون من ورائه :

لبيك اللهم لبيك

لبيك لا شريك لك لبيك

إن الحمد والنعمة لك والملك

لا شريك لك لبيك

وتجاوبت الأودية والصحاري بهذا النداء تلبي كلها وتنادي بارئها مؤمنة عابدة .. وتتجاوب أصداؤها مندهشة مما تسمع مسبحة بحمد ربها تتبارك بخطى هذا النبي الكريم ﷺ .

وعلمنا رسول الله ﷺ وأرشدنا إلى خطوات الحج إلى بيت الله الحرام . فتتم نعمة الإيمان بأداء فريضة الحج .

وفي عرفات خطب رسول الله ﷺ خطبته الجامعة والتي تعرف "بخطبة الوداع" والتي تضمنت وصيته بالنساء خيراً حيث قال عليه الصلاة والسلام فيما ينطوي على اهتمامه بالمرأة:

(أيها الناس .... فإن لكم على نسائكم حقا ولهن عليكم حقا، لكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه وعليهن ألا يأتين بفاحشة مبينة .

فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهن في المضاجع وتضربوهن ضربا غير مبرح .

فإن انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف واستوصوا بالنساء خيرا فإنهن عندكم عوان .

لا يملكن لأنفسهن شيئا ، وإنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمات الله .

فاعقلوا أيها الناس قولي فإني قد بلغت .. وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا ، أمرا بيّنا : كتاب الله وسنة رسوله .

أيها الناس اسمعوا قولي واعقلوه ، تعلمون أن كل مسلم أخ للمسلم ، وأن المسلمين أخوة فلا يحل لامرئ من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه ، فلا تظلمن أنفسكم) .

كانت المرأة المسلمة في العهد النبوي واعية لشخصيتها التي قرر الإسلام الحنيف معالمها ، ثم إنها مارست الحياة في مختلف مجالات الحياة انطلاقاً من هذا الوعي في قوله ﷺ وهو يقرر أصل المساواة بين الرجل والمرأة مع قدر من الاختصاص في بعض المجالات: "**إنما النساء شقائق الرجال**[1]" .

والأصل في خطاب الشارع قرآناً وسنة أنه موجه للرجال والنساء سواء ، بدءاً من تقرير الكرامة الإنسانية إلى تقرير المسئولية الجنائية ، على أن هناك فوارق محددة قررها الشارع في وضوح وجلاء ، لكن يظل الأصل هو المساواة والفوارق استثناء من الأصل وأنه لخطأ فادح وعدوان على شرع الله أن يضيع هذا الأصل .

قال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا

(١) رواه أبو داود .

رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ (النساء) .

ثم منع الإسلام إرث نكاح النساء :

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ...﴿١٩﴾ (النساء) .

وأمر الإسلام بمعاشرة الزوجات بمعروف :

﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ ...﴿١٩﴾ (النساء) .

﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ ...﴿٢٠﴾ (النساء) .

ولقد حفلت صحف السير والسنة والتاريخ بكثير من سير فضليات النساء ممن كان لهن دور بارز في هذا العهد .

فقد شاركت المرأة المسلمة في أدق المسائل وأخطرها ، و لم يكن هذا محل إنكار في عهد النبي ﷺ ولا في عهد خلفائه الراشدين ، وكان من الإسهامات العظيمة للمرأة في نصرة الدعوة منذ خطواتها الأولى ما قامت به السيدة العظيمة خديجة بنت خويلد رضوان الله عليها .

فمنذ فجر الدعوة الإسلامية ، حين نزل الوحي على الرسول الكريم وهو يتعبد في غار حراء ، كانت السيدة خديجة أول من وقفت تشد أزره ، وكانت له وزير صدق على الإسلام وكان ﷺ يشكو إليها .

ولقد حدثنا المؤرخ ابن هشام في (السيرة النبوية) وشرح دورها بإسهاب بما يؤكد على عظمة جهاد المرأة في الدعوة إلى الإسلام ، وبما تمتلك من رجاحة العقل ، ونضج الشخصية مما كان له أعظم الأثر على رباطة جأش رسول الله ﷺ في بداية الدعوة وعظم وثقل هذا الأمر عندما جاءه الوحي ، وفؤاده يرتجف ، فقالت له في ثقة وإيمان صادق :

"كلا لا يخزيك الله أبدا . إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث ، وتقري الضيف ، وتحمل الكلّ ، وتكسب المعدوم، وتعين على نوائب الدهر" .

وتابعت السيدة خديجة مسيرتها مع النبي الكريم تعينه وتشد من أزره بقولها وفعلها ومالها ، وظلت هكذا على امتداد حياتها الطاهرة تؤدي دورها في الدعوة الإسلامية كما يشرحها ابن هشام في (السيرة النبوية) قائلا :

". . . وكانت أول من آمن بالله وبرسوله وصدق ما جاء به، فخفف الله بذلك عن نبيه ﷺ ، لا يسمع شيئا مما يكرهه من رد عليه وتكذيب له فيحزنه ذلك إلا فرج الله عنه بها إذا رجع إليها ، تثبته وتخفف عنه ، وتصدقه ، وتهون عليه أمر الناس ، رحمها الله" .

كما حفلت أيضا كتب السيرة والتاريخ الحديث بسيرة العشرات من نساء العهد النبوي اللواتي شاركن في ميادين مختلفة لخدمة الدعوة الإسلامية منها : الحروب والغزوات ، الأمور الدينية والفقه ، والنشاط السياسي ، وفي الوعظ والإرشاد ، ومجالات الأدب وغيرها من المجالات .

أهنـاك بعـد ذلـك تكـريم وإعـزاز للمـرأة أكـبر مـن تكـريم الإسلام وإعزازه لها في عهد النبوة الكريم ؟؟؟

سيدتي :

اقتدي بمـا كـان بـالأمس ومارسيه بقـدرة واقتـدار وثبـات واحتشام ، فلديك رصيد من سيرتهن وهن في أكـرم عهـد وأصـدق فعل وأقرب زمن من نزول الوحي ، ولديك رصيد من سيرتهن ينير لك الطريق ، ويرد على كل اعتراض لدورك الفعال في مجتمعك .

ولا تتركي كل من لديه طرف من علم ، أو قشور من فهم يفتي في أمرك أو يشكك في أهليتـك حتى يبعـدك عمّـا أعطـاه لـك الخالق سبحانه وتعالى .

وهـذا كلـه لا يتـأتى إلا بـالتعمق في دينـك وسـيرة الأوائـل الكرام ، والتفقه الصحيح الـواعي والناضـج المؤسـس علـى الأصـول العلمية لجميع حقوقك وواجباتك تجاه أسرتك ومجتمعك .

المرأة في الحج والعمرة

الحج ـ العمرة

والحج هو زيارة بيت الله الحرام في مكة بقصد أداء أعمال محددة في وقت محدد من بينها الإحرام والطواف والسعي والوقوف بعرفة ورمي الجمرات ، وتبدأ مناسك الحج من يوم التروية ـ الثامن من ذي الحجة وتستمر حتى نهاية أيام عيد الأضحى المبارك .

وفي الحج يترك العبد المؤمن الأهل والأصدقاء والأحباب والأوطان يترك كيانه المادي والمعنوي من أهله ووطنه ويتحمل مشاق السفر والاغتراب عن كل هؤلاء ليتجرد ويتفرغ من إلف العادة إلى حرارة العبادة ليكون بالقرب من الله ملبيا .. مسبحا .. ذاكرا .. شاكرا .. مصليا .. طائفا .. باكيا .. طالبا رحمة الله .. فيهون كل شيء أمامه ، ويصغر كل شي أمامه وهو في رحاب الله في البيت الذي اختاره الله ، وبالقرب من الرسول ﷺ الذي أرسله الله ، وسعيه لهذا اللقاء برغبته واختياره واشتياقه هو امتثال وطاعة وتسليم لمن كلفه وأمره ودعاه فلباه ، وأمره فأطاعه ، وكلفه فنفذ التكليف وذلك هو الدليل على قوة الإيمان .

والحج من العبادات التي يتفرغ فيها المسلم للصلاة والدعاء والابتهال لله عز وجل وتسبيح الله وتقديسه وحمده وتكبيره والاستغفار والصلاة على النبي ﷺ ..وفي القيام بمناسك الحج ذكر لله سبحانه وتعالى مما يبعث في النفس والقلب الأمن والاطمأنينة .

يقول الله تعالى : ﴿....أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ (الرعد) .

ويقول رسول الله ﷺ : **(عليك بذكر الله وتلاوة كتاب الله فإنه نور في الأرض وذكر لك في السماء)**[1] .

والحج شعور وسلوك إيماني يجعل الإنسان راضيا .. مطمئنا .. هادئا .. آمنا .. يحتويه السلام الروحي .. والأمان النفسي .. والسكينة القلبية .

قال رسول الله ﷺ : **(الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة)** .

والحج المبرور هو الحج الذي يخلو من الظلم والإثم والعدوان والفسق والجدال والاعتراض والتأفف والإساءة .

---

(١) رواه أبو يعلي عن أبي سعيد، عن د.حسن الشرقاوي نحو علم نفس إسلامي ص٣٠٣.

ولأن الله طيب لا يقبل إلا طيبا ..

فإن للحج المبرور مواصفات منها :

- أن يرتقي العبد في علاقته بالله عز وجل فيتحلى بما جاء به القرآن العظيم من خلق كريم ، وأدب حميد ، وأن يقتدي برسول الله ﷺ .
- أن يكون المال حلالا .
- أن يتغير حال العبد من ذل المعصية إلى عز الطاعة ، ومن طاعة إلى أكثر طاعة .
- لابد من رد المظالم إلى أصحابها قبل سفر العبد لأداء فريضة الحج ، وعدم اكتساب مظالم جديدة بعد عودته .
- قضاء ما فات العبد من فرائض في العبادة والاهتمام بألا يفوته جديد في رحلة عمره الباقية .
- أن يؤدي العبد من النوافل والصدقات والأعمال الصالحة ومن تحصيل العلم الديني الذي يعمل به .

قال تعالى : ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ...﴿٧٠﴾﴾ (الفرقان) .

- تجديد العهد مع الله كلما سنحت الفرصة للسفر لأداء العمرة أو الحج والتزود ليوم الوعيد .. يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

وكما نرى فهي مواصفات تتطلب الإخلاص في القول والعمل والصدق في النية والسلوك ، والصفاء النفسي والنقاء القلبي حتى يسافر الإنسان لأداء فريضة الحج لا يطمع في شي إلا في محبة الله ورضاه .

الإعداد لرحلة الحج والصفاء النفسي

عندما ينعم الله سبحانه وتعالى على العبد المؤمن بالدعوة لأداء فريضة الحج .. يشعر هذا العبد المحب لله بفرحة غامرة تسيطر على كيانه كله ممتزجة بالرهبة والخشوع ويوقن أنه أمام مسئولية كبرى عليه أن يتحملها وأمانة لابد من أدائها .

ويسجد بخشوع وحب حامداً شاكراً فضل الله العظيم عليه، داعياً أن يتقبل الله جل جلاله حجته وأن يعينه على المحافظة عليها .

فالحج مسئولية كبرى أمام الله تتطلب الإخلاص والصدق في القول والعمل ، ونقاء السريرة ، والصفاء النفسي .

والإعداد لرحلة الحج يتطلب سلوكيات خاصة حيث يعقد العبد المؤمن العزم على أن يسافر لأداء فريضة الحج صافياً .. طاهراً .. نقياً ليس في قلبه شائبة .. يتملكه حب الله .. طامعاً في رحمة الله .. ساعياً إلى رضاه سبحانه وتعالى .

ويستهل العبد المحب لله المخلص استعداده لرحلة الحج والصفاء النفسي حيث يصفو بنفسه ويرتقي بقلبه وروحه وكيانه إلى أعلى درجات الصفاء النفسي ويبدأ في محاسبة أفعاله ويسترجع أحداث حياته ليصفي حساباته مع نفسه والآخرين ، فإذا كان قد أساء إلى أحد أو ظلم أحداً أو كان سبباً في إيذاء أحد ، فعليه على الفور أن يطلب العفو من الله أولاً ثم يستسمح من ظلمه وآذاه .

فإن المحافظة على حقوق العباد من الأمور التي تتعلق عليها كمال المغفرة وتمام التوبة كما جاء في سورة نوح .

قال تعالى : ﴿أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ.....۝﴾ (نوح) .

لم يقل المولى عز وجل يغفر ذنوبكم ، ولكنه قال يغفر لكم من ذنوبكم ، أي هناك بعض الذنوب ستظل مغفرتها معلقة حتى تقضي حقوق العباد ، مثلها لا يغفرها الله إلا بعد ردها إلى العباد أو عفوهم وتنازلهم عنها .

الكثيرون يعتقدون خطأً أن الإنسان يستطيع أن يفعل ما يحلو له ، ثم يؤدي فريضة الحج فيعود من الحج كما ولدته أمه بلا خطيئة .. بلا أخطاء .

ولكن كيف ذلك ؟ كيف يحل الإنسان لنفسه أن يظلم ويكون سبباً في إيذاء الآخرين أو الإساءة إليهم بأي صورة من الصور ؟ ثم لمجرد أن يؤدي فريضة الحج يعود وكأنه لم يفعل شيئاً .. أين حق المظلوم .

لقد صور القرآن الكريم الظلم أعظم تصوير حيث توعد الظالمين بالعذاب الأليم ، وكما توعد الظالمين ، وعد المظلومين بالنصر كما طمأنهم حيث نهى الله عن الجهر بالسوء من القول إلا من ظُلم ، وهنا أعطى الله الحق للمظلومين بالجهر بالسوء لأنه يعلم سبحانه مدى الثورة التي تتولد وتتفجر بداخل الإنسان المظلوم .

والظالم إنسان استفحلت فيه آفة الكبر وتولدت عنده الأنانية والغرور والتجبر بدرجة كبيرة فهو إنسان لا يرى إلا نفسه ولا يسعى إلا لتحقيق مصلحته الشخصية حتى ولو كان الثمن في ذلك أن يجور على حساب الآخرين وحقوقهم ، وأن يؤذي آدميتهم وكرامتهم وكبرياءهم . فهو إنسان نسي الله فأنساه نفسه .

فإذا دعتك قدرتك إلى ظلم الناس فتذكر قدرة الله عليك .

ويستلزم الظلم التوبة عنه وأن تكون مقرونة بالسلوك العملي كأن يتصافى العبد مع من ظلمه أو أساء إليه حتى يذهب إلى الحج طاهراً نقياً من أي ضغينة أو شائبة مبتغياً في ذلك محبة الله ورضاه .

وفي البداية والنهاية الأمر لله وحده ورحمته ومغفرته مقرونة دائما بمشيئته وإرادته وحده فيهدي من يشاء ، ويغفر لمن يشاء وهو سبحانه وسع كل شيء رحمة وعلماً . يصلي له الملائكة بقولهم :

﴿...رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾﴾ (غافر) .

ويقول عز وجل في صفة رحمته :

﴿...وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ... ﴿١٥٦﴾﴾ (الأعراف).

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ... ﴿٤٨﴾﴾ (النساء) .

إذن المغفرة ترتبط بالمشيئة الإلهية ولمن يشاء الله عز وجل أن يغفر له .

لا يكاد يبدأ الإنسان سيره في طريق الإخلاص لله .. حتى ينطبق عليه قول الله تعالى :

﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ (الفرقان) .

إن الشعور بالذنب يسبب للإنسان الشعور بالنقص والقلق ويمدنا القرآن الكريم بأسلوب فريد وناجح في علاج الشعور بالذنب ألا وهو التوبة ، فالتوبة إلى الله سبحانه وتعالى تمحي الذنوب ، وتقوي في الإنسان الأمل في رضا الله ، فتخفف حدة قلقه .

ثم إن التوبة تدفع الإنسان عادة إلى إصلاح الذات وتقويمها حتى لا يقع مرة أخرى في الأخطاء والمعاصي ، ويساعد ذلك على زيادة تقدير الإنسان لنفسه ، وزيادة ثقته فيها ، ويؤدي ذلك إلى بث الشعور بالأمن والطمأنينة في نفسه :

قال تعالى : ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ (الزمر) .

﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ (النساء) .

﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾﴾ (النساء) .

﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ (الأنعام) .

﴿وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾﴾ (الأعراف) .

﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾ (طه) .

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَـٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ (آل عمران) .

﴿...إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ (البقرة) .

فالتوبة ضرورة حية للإنسان ، وهي معرفة حقيقية ، وإيمان غالب على القلب ، ويقين مؤكد ، فإذا ما تمت توبة الإنسان ، فإنه يثور نتيجة هذه المعرفة ، ويتألم قلبه ويحزن بسبب ما دفع فيه من الذنوب والآثام .

إن إيمان المسلم بأن الله جل شأنه يقبل التوبة ويغفر الذنوب وأن الله سبحانه وتعالى لا يخلف وعده ، إنما يدفعه إلى الاستغفار والتوبة ، والابتعاد عن ارتكاب المعاصي أملاً في مغفرة الله ورضوانه وإذا تاب المسلم توبة نصوحة ، والتزم بطاعة الله وعبادته بالعمل الصالح ارتاح باله ، واطمأنت نفسه ، وزال عنه الشعور بالذنب الذي يسبب القلق النفسي واضطراب الشخصية .

والحج فرصة عظيمة للنفس اللاهية والقلب الغافل ، وللإنسان لكي يعيد حساباته ويغسل نفسه من الذنوب والآثام والخطايا فيعتدل أمره ويدخل في طاعة الله مما يكسبه عادات جديدة وأخلاقا حميدة أما في حالة إذا لم يتب العبد و لم يطلب الصفح ممن آذاه أو ظلمه .. يظل ظلمه وإساءته لغيره معلقاً حتى يوم القيامة فيحكم الله في أمره بمعنى أنه من الممكن إذا شاء الله أن ينال ثواب الحج ولكن يظل ظلمة معلقاً في رقبته حتى يوم القيامة ويحاسبه الله

على ظلمه في حق الآخرين .. وهذا هو عدل الله ، ورحمة الله وهو سبحانه الحكم العدل الرحيم .. والعدل هو ميزان الرحمن ليقتص به من الظالم وينصر المظلوم .

إن تفويض الأمر لله يمنح الإنسان قوة كبرى .... قوة يستمدها من حبه لله وثقته في الله .. قوة تعطيه القدرة على الصبر وتمنحه الهدوء والسكينة والأمان مما يؤدي إلى صفاء النفس وصفاء الذهن .

إن الصفاء النفسي درجة من درجات الإيمان ، وهو نعمة من نعم الله يمن بها سبحانه على عبده المؤمن المحب حيث يشعر هذا العبد بأن هناك نوراً يسرى في كيانه ، ويجري في دمه .. نوراً يهذبه ويصقله ويوجهه إلى كل ما هو خير وفاضل وكريم .

والصفاء النفسي يتطلب من الإنسان سلوكيات خاصة مثل العفو والصدق والصبر والإخلاص وكظم الغيظ والإحسان والرضا مما يدفع الإنسان إلى التحلي بالخلق القرآني ومن تحلى بالخلق القرآني وعرفه حق المعرفة وقاه الله شرور الدنيا وآثامها .

سيدتي :

عندما يمنحك الله عز وجل فرصة الذهاب إلى الأراضي الحجازية لأداء فريضة الحج .. فهي نعمة تستوجب الشكر والإعداد النفسي لها .. وأولى مراحل هذا الإعداد أن تصفي نفسك وتردين جميع المظالم وتعفين عمن ظلمك وتستسمحين من قدمت له أي إساءة سواء بالقول أو بالعمل مما يحقق لك الصفاء النفسي في هذه الرحلة التي تعتبر أعظم هدية يقدمها الله الكريم لعبده .

وبذلك تقبلين على رحلة العمر وأنت صافية .. نقية السريرة .. مطمئنة القلب وتذكري دائماً أن من أولى مواصفات الحج المبرور رد المظالم .

وكلما استطعت أن تعفين ، وتسامحين ، وتكظمين غيظك وتحرمي على نفسك إلا قول الحق وألا تسعين إلا للعمل الصالح فأنت عندئذ تقتربين من درجة الإحسان وتفوزين بمكان في الجنة حيث الرضا الإلهي والحنان الرباني والبركة التي تملأ حياتك ، إنه هو سبحانه الحنان المنان .

حج المرأة

عن عائشة قالت : يارسول الله ترى الجهاد أفضل العمل أفلا نجاهد ؟ قال ﷺ : "**ولكن أفضل الجهاد حج مبرور**[1]" .

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : "**جهاد الكبير والضعيف والمرأة : الحج**[2]" .

وقد تقدم أن من شروط الحج للمرأة ، وجود زوجها معها أو محرَم ، وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه : أن النبي ﷺ "**نهى أن تسافر المرأة مسيرة يومين أو ليلتين إلا ومعها زوجها أو ذو محرم**[3]" .

ويجوز أن تسافر المرأة إلى الحج في صحبة آمنة .

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم .

(٢) أخرجه النسائي

(٣) متفق عليه .

محظورات الحج على المرأة :

يحرم على المرأة ستر وجهها ، كما يحرم على الرجل والمرأة استعمال الروائح العطرية ، وإزالة الشعر ، وقص الأظافر ، والزاوج ، والصيد .

شعائر الحج وآدابه

أولاً : الإحرام

فكرة عامة عن الإحرام ومحظوراته :

عندما يبدأ الحاج مناسك الحج ، يدخل فى سلام مع الوجودكله ، وسلام مع نفسه التي سالمته فرضيت أن تمتنع عن كثير مما أحل الله لغير المحرم ، فلا شهوة له في زينة ولا طيب فضلاً عن رفث أو فسوق . وهو في سلام مع الناس فلا جدال ، وفي سلام مع النبات فلا يقطعه ، ومع الحيوان فلا يصيده ولا يذبحه ، وإن صاده فداه ويظل هكذا حتى يتحلل .

قال تعالى : ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ .... ﴿١٩٧﴾﴾ (البقرة) .

وفى الإحرام من المواقيت إشعار النفس بأنها دخلت حمى الله ، وأقبلت على مكان غير عادي فلابد أن يخرج عن كثير من العادات ، تربية للمهابة واستحضارا للقداسة .

والإحرام هو بداية الدخول في مناسك الحج أو العمرة حيث يلتزم الحاج بأعمال معينة ، ويمتنع عن أعمال أخرى ويبدأ الحاج في الإحرام قبل أن يتجاوز أماكن محددة تختلف باختلاف الجهة التي يدخل منها إلى مكة ، وتسمى هذه الأماكن بالمواقيت .

والميقات هو المكان الذى يلتزم الحاج بألا يتجاوزه إلا محرما للحج أو العمرة أو لهما معاً سواء جاء إلى مكة بالبر أو بالبحر أو الجو مصداقاً لحديث الرسول ﷺ : "**لا تجاوزوا الميقات إلا بإحرام**[1]".

ويختلف الميقات حسب الجهة التي يدخل منها الحاج إلى الحرم متجهاً إلى مكة ، وقد حدد لكل قادم إلى مكة للحج أو للعمرة أماكن لا يحل له أن يتجاوزها إلا وهو محرم ، وهذه الأماكن هي :

---

(١) الحج عبادة العمر ، ص ٥٤.

- **ذو الحليفة :** وتسمى "آبار علي" وهي ميقات أهل المدينة المنورة وكل من مر بها أو قريباً منها تقع على بعد حوالي ٤٥٠ كليو متراً إلى الشمال من مكة وعلى بعد حوالي ١٨ كليو متراً من المدينة .
- **الجحفة :** وتسمى الآن "رابغ" وهي ميقات أهل مصر والشام والمغرب ، وتبلغ المسافة بين رابغ ومكة المكرمة حوالي ٢٠٤ كيلومترات .
- **قرن المنازل :** وهي ميقات أهل نجد والكويت ومن مر به أو سلك طريقهم ، وهو جبل شرق مكة على وادي عرفات بينه وبين مكة المكرمة حوالى ٩٤كيلو متراً .
- **يلملم :** وهي ميقات أهل اليمن . عبارة عن جبل فى الجنوب من مكة المكرمة على مسافة حوالي ٥٤كيلومترا .
- **ذات عرق :** وهي ميقات أهل العراق وتقع إلى الشمال الشرقي من مكة على مسافة ٩٤كيلومترا .

وهذه الأماكن تمثل مواقيت للحج حددها الرسول ﷺ لأهل هذه البلاد ومن مر بها من غيرهم ، وكل من يمر بأحد هذه المواقيت أو يحاذيه براً أو جواً أو بحراً فعليه أن يحرم قبل أن يتجاوزه .

أما أهل الجهات التي تقع بين هذه المواقيت ومكة فيحرم كل منهم من مكانه الذي يقيم به ، وأما أهل مكة فيحرمون من منازلهم لعموم قول الرسول ﷺ في حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : قال ﷺ : "**ومن كان دون ذلك فمهله مما أهل ، حتى أهل مكة يهلون من مكة**" .

لكن إذا كان الإحرام للعمرة ، فيجب على من كان يسكن الحرم أن يخرج إلى الحل - أي خارج الحرم - ليحرم منه لأن النبي ﷺ لما طلبت منه السيدة عائشة رضى الله عنها أداء العمرة أمر أخاها عبد الرحمن بن أبي بكر أن يخرج بها إلى الحل لتحرم منه .

إحرام المرأة :

أ- سنن الإحرام للمرأة : وهي :

١- النظافة .

٢- الطيب .

٣- صلاة ركعتين .

عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال : "**لا تنقب المرأة المحرمة ولا تلبس قفازين**[1][2]" .

وفي رواية : سمعت النبي ﷺ "**ينهى النساء في الإحرام عن القفازين والنقاب وما مس الورس والزعفران من الثياب**[3]" .

وزاد أبو داود : "**ولتلبس بعد ذلك ما أحبت من ألوان الثياب معصفراً أو خزاً أو حلياً أو سراويل أو قميصاً**"[4] .

إحرام المرأة الحائض :

١- إذا وصلت المرأة ميقات الإحرام فإنها تغتسل إن أمكن ذلك حتى الحائض ، وإذا لم تتمكن من الغسل تتوضأ وتسرح شعرها وتمشطه وقد أمر النبي ﷺ عائشة فقال : "**انقضي رأسك وامتشطي**" رواه مسلم .

---

(١) النقاب : ما تغطي به المرأة وجهها .

(٢) علية مصطفى مبارك : منهاج المرأة المسلمة .

(٣) الورس : نبت أصفر يصبغ به .

(٤) أخرجه البخاري والترمذي والنسائي وأحمد .

وتقص أظافرها وتلبس ملابسها العادية وتصلي ركعتي الإحرام وتنوي الإحرام بالحج ، أو الحج بالعمرة ، أو بالعمرة كما تشاء وتلبي .

٢- إذا فاجأ المرأة الحيض أو غير ذلك قبل الحج لم يمنعها هذا من إتمام إجراءات الحج وعليها أن تغتسل للإحرام رغم نزول دم الحيض - وتحرم بالحج أو الحج بالعمرة ، أو العمرة كما تشاء لكن لا تؤدي فريضة الصلاة لأنها حرام على الحائض .

قال رسول الله ﷺ : "**إن النفساء والحائض تغتسل وتحرم وتقضي المناسك كلها غير أنها لا تطوف بالبيت**(١)" .

وقد حاضت السيدة عائشة رضي الله عنها وهي في طريق الحج مع رسول الله ﷺ فبكت فقال لها رسول الله ﷺ : "**هذا شيء كتبه الله على بنات حواء ، افعلي كل شيء غير ألا تطوفي بالبيت حتى تغتسلي**" .

---

(١) أخرجه أبو داود والترمذي .

٣- فإذا حدث الحيض بعد الإحرام فلا غسل على المرأة وتستمر في المناسك .

٤- إذا وصلت المرأة الحائض إلى مكة المكرمة قبل أن ينتهي الحيض فعليها أن تلزم مقر الإقامة حتى تطهر ثم يحل لها بعد الطهر طواف القدوم والسعي بين الصفا والمروة .

٥- وإذا جاء يوم عرفة و لم تطهر المرأة من الحيض فتخرج مع الحجاج وتقف بعرفات ومزدلفة ومنى وترمي الجمار ولكن لا تطوف بالبيت حتى تطهر .

٦- أما إذا حدث الحيض بعد طواف القدوم فقد سقط عن المرأة طواف الإفاضة الذي يفعله الحجاج يوم العيد أو بعده ـ وإذا حدث الحيض بعد طواف الإفاضة فقد سقط عن المرأة الحائض طواف الوداع الذي يفعله الحجاج يوم خروجهم من مكة بعد الحج .

وقد حدث بعد أن طاف رسول الله ﷺ طواف الوداع ليلاً أن أخبرته زوجته السيدة صفية بأنها حاضت قبل أن تطوف طواف الوداع فقال لها إنها طافت طواف الركن ـ القدوم ـ إذن فلتخرج وتسافر ، إذن لا طواف وداع لها.

٧- يمكن للمرأة أن تستعمل ما يمكن استعماله من الأدوية الطبيعية لرفع دم الحيض أو تأخيره بقدر الإمكان أثناء الحج.

محظورات الإحرام :

وهي تنقسم إلى ثلاثة أنواع :

١- نوع يوجب دما : شاة أو سُبع بدنة (بقرة أو جملاً) .

٢- نوع يوجب صدقة : بحسب القدرة والمقدرة .

٣- نوع يوجب القيمة مثل جزاء قطع شجرة في الحرم .

ما يوجب الدم :

١- دواعي الجماع كالمعانقة ، والقبلة ، واللمس بشهوة أما الجماع قبل الوقوف بعرفة فإنه يفسد الحج ويجب عليها القضاء وشاه .

٢- إزالة شعر رأسها أو شعر عانتها أو إبطها لغير عذر ، ولما كان التمشيط يزيل بعض الشعر فقد كرهه بعض الفقهاء والأولى تركه .

٣- قص أظافر الأيدي أو الأرجل .

٤- لبس المرأة للنقاب ، والقفازين ، والثوب الذي مسه الطيب.

٥- تطييب البدن لغير عذر .

ما يوجب الصدقة :

١- قص ظفر أو أقل من خمسه أظافر ، وكذلك حلق ما دون ربع الرأس أو اللحية (للرجال) .

٢- لبس ما لا يجب على المرأة (كالقفازين والنقاب والمعصفر أقل من يوم) .

٣- ترك أقل من ثلاثة أشواط من طواف القدوم أو الوداع .

٤- التطيب .

٥- ترك رمي حصاة من إحدى الجمار .

الدم الواجب بقتل الصيد :

إذا قتل المحرم .. الصيد .. كان له الخيار بين أن يذبح حيوانا مثله والتصدق به على مساكين الحرم .. أو أن يقوم به نقودا ويشتري بها طعاما لهم ، أو أن يصوم على كل مُد يوماً لقوله تعالى :

﴿....فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا....﴿٩٥﴾﴾ (المائدة) .

ثانياً : دخول مكة والبيت الحرام :

ما يستحب عند دخول مكة :

١- الاغتسال .

٢- أن تبادر إلى البيت بعد أن تدع أمتعتها في مكان أمين وتدخله من باب السلام وتقول في خشوع وضراعة :

"**أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم ، من الشيطان الرجيم . باسم الله ، اللهم صل على محمد وآله وسلم ، اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك**" .

٣- إذا وقع نظرها إلى البيت رفعت يديها وقالت :

"**اللهم زد هذا البيت تشريفا وتعظيما وبراً ، وتكريما ، ومهابة وزد من شرفه وكرمه ممن حجه أو اعتمره تشريفا ، وتكريما، وتعظيما ، وبرا ، اللهم أنت السلام ومنك السلام فحينا ربنا بالسلام**" .

٤- أن تقصد إلى الحجر الأسود فتقبله بدون صوت إن أمكن من غير أية مزاحمة .

٥- ثم تقف بمحاذاته وتشرع في الطواف .

٦- ولا تصلي تحية المسجد ، فإن تحيته الطواف به إلا إذا كانت الصلاة المكتوبة مقامة فتصليها مع الإمام .

ثالثاً : الطواف :

الطواف ببيت الله الحرام أو الكعبة المشرفة هو أحد أركان الحج والعمرة ، وهناك ثلاثة أنواع من الطواف :

- **طواف القدوم :** وهو سنة عن النبي ﷺ .
- **طواف الإفاضة :** وهذا الطواف ركن من أركان الحج والعمرة .
- **طواف الوداع :** وهو واجب يؤدى في نهاية مناسك الحج أو العمرة قبل العودة إلى الوطن .

شروط الطواف الصحيح :

١- الطهارة من الحدث الأصغر والأكبر .

٢- ستر العورة .

٣- أن يكون سبعة أشواط .

٤- أن يبدأ الطواف من الحجر الأسود وينتهي إليه .

٥- أن يكون البيت عن يسار الطائف .

٦- أن يكون الطواف خارج البيت .

٧- لا يجوز إيذاء الآخرين بالمزاحمة أو الدفع .

نية الطواف :

إن النية محلها القلب قائلة :

"اللهم إني نويت طواف بيتك المعظم سبعة أشواط (عن نفسك أو عن غيرك) سبعة أشواط طواف العمرة أو طواف القدوم أو طواف الإفاضة (الحج) أو طواف تحية أو طواف تطوع أو شكر (لختم القرآن مثلا) تقبل مني . اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك" .

كيفية الطواف :

١- تبدأ المرأة الطواف محاذية للحجر الأسود مقبلة له أو مشيرة إليه بيدها كيف أمكنها ذلك ، جاعلة البيت عن يسارها قائلة :

"باسم الله ، الله أكبر ، اللهم إيمانا بك ، تصديقا بكتابك ، ووفاء بعهدك ، واتباعا لسنة نبيك ﷺ ، باسم الله الله أكبر" .

ويلاحظ أن طواف المرأة يختلف عن طواف الرجل ، فالرجل يهرول والمرأة تسير بخطواتها المعتادة .

وفي هذا رعاية وعناية من الله للمرأة حفاظاً على وقارها وعدم إظهار أية مفاتن لها إذا هرولت .

ولذا لا يجوز للمرأة بأي حال من الأحوال أن تزاحم الرجل أو تدفعه لكي تقبل الحجر الأسود ، حيث يسر لها الشرع أن تشير إليه من بعيد ولا تذهب لتقبيله إلا في وقت غير مزدحم حفاظا على نفسها وعدم إيذائها أو إيذاء الغير .

وعلى المرأة أن تحرص على أن تتمتع بالعلم والمعرفة والوعي الثقافي الإسلامي الذي يحفظ لها كيانها ويجعلها تؤدي مناسك وشعائر الله بهدوء وصمت ووقارٍ واحترام حامدة شاكرة نعمة الله عليها .

٢- إذا بدأت في الطواف تقول مقتدية برسول الله ﷺ **"بسم الله، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلى بالله العلي العظيم"** .

٣- وإذا وصلت إلى الركن اليماني تقول : **"ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار"** .

٤- يستحب كثرة الذكر والدعاء وشكر الله سبحانه وتعالى بما ينشرح به صدرها .

ويستحب طوال رحلة مناسك الحج والعمرة ذكر الله كثيرا وأفضل الذكر تلاوة القرآن الكريم ، والتسبيح ، والتحميد ، والحوقلة والتكبير والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ والدعاء بأسماء الله الحسنى .

من آداب الطواف :

ولطواف بيت الله الحرام آداب واحترام وقدسية تجدين نفسك تلتزمين بها حيث الصمت والبكاء . . البكاء من الرهبة . . من الخشوع . . من قمة الحب الإلهي عاجزة أمام حب الله . . لا تعرفين كيف تشكرينه وتحمدينه على لمسات حنانه عليك ، وأنه سبحانه أنعم عليك واختارك لتلبية دعوته في أداء فريضة الحج وجاءت الفرصة لتطوفين بيته . . فلتذكريه وتحمديه كثيراً راكعة ساجدة حباً وحمداً وشكراً له . . ساعية إلى طريقه .

إنها لحظات تتجلى فيها قمة العبودية لله . . وقمة الحب الإلهي . . ولمسات حنانه . . وآثار رحمته لا يملك الإنسان فيها غير أن يسجد حامداً شاكراً لله عز وجل معترفاً بفضل الله عليه .

من الأدعية المستحبة أثناء الطواف :

"سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم" .

"اللهم اجعله حجا مبرورا ، وذنبا مغفورا وسعيا مشكورا" (وذلك في الحج) .

"رب اغفر وارحم واعف عما تعلم إنك أنت الأعز الأكرم" .

"اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار" .

"اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني" .

دعاء الملتزم

يقف الحاج بين باب الكعبة والحجر الأسود وهو ما يعرف بالملتزم - ويدعو قائلا :

"اللهم يارب البيت العتيق اعتق رقابنا ورقاب آبائنا وأمهاتنا وإخواننا وأولادنا من النار ، ياذا الجود والكرم والفضل والمن والعطاء والإحسان.

"اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها ، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة" .

"اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك واقف تحت بابك ملتزم بأعتابك متذلل بين يديك أرجو رحمتك وأخشى عذابك ، يا كريم الإحسان اللهم إني أسألك أن ترفع ذكري وتضع عني وزري وتصلح أمري ، وتطهر قلبي وتنور لي قبري ، وتغفر لي ذنبي ، وأسألك الدرجات العلى من الجنة" .

بعد الانتهاء من الطواف يصلي الطائف أو الحاج ركعتين عند مقام سيدنا إبراهيم إتباعا لقول الله تعالى : ﴿...**وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى**...(١٢٥)﴾ (البقرة) .

يقرأ في الأولى بعد الفاتحة سورة الكافرون وفي الثانية الإخلاص .

دعاء مقام إبراهيم

وبعد أن يصلي الحاج ركعتين في مقام إبراهيم يتوجه إلى الله:

"اللهم إنك تعلم سري وعلانيتي فاقبل معذرتي ، وتعلم حاجتي فاعطني سؤلي ، وتعلم ما في نفسي فاغفر لي ذنوبي" .

"اللهم إني أسالك إيمانا يباشر قلبي ، ويقيناً صادقاً حتى أعلم أنه لا يصيبني إلا ما كتبت لي رضا منك بما قسمت ، أنت وليي في الدنيا والآخرة ، توفني مسلما وألحقني بالصالحين ..." .

"اللهم لا تدع لنا في مقامنا هذا ذنبا إلا غفرته ، ولا هما إلا فرجته ولا حاجة إلا قضيتها ويسرتها يا أرحم الراحمين ، اللهم يسر أمورنا واشرح صدورنا ، وأنر قلوبنا ، واختم

بالصالحات أعمالنا ، اللهم توفنا مسلمين ، وأحينا مسلمين وألحقنا بالصالحين" .

دعاء في حجر إسماعيل

"اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليّ ، وأبوء بذنبي ، فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ...." .

"اللهم إني أسالك من خير ما سألك به عبادك الصالحون اللهم بأسمائك الحسنى وصفاتك العلى طهر قلوبنا من كل وصف يباعدنا عن مشاهدتك ومحبتك وأمتنا على السنة والجماعة والشوق إلى لقائك ياذا الجلال والإكرام" .

"اللهم أنر بالعلم قلوبنا ، وخلص من الفتن سرنا وعلانيتنا واشغل بالاعتبار والاستغفار فكرنا ، وقنا شر وساوس

الشيطان ، وأجرنا منه يا رحمن حتى لا يكون له علينا سلطان" .

"**ربنا إننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار**" .

بئر زمزم :

بعد صلاة ركعتي الطواف يتوجه الحاج إلى بئر زمزم ، فيشرب منها ومن السنة أن ينوي الشرب للشفاء ، ولما يشاء من خيري الدنيا والآخرة لقوله ﷺ : "**ماء زمزم لما شرب له**" .

ثم يدعو قائلا :

"**اللهم إني أسألك علما نافعا ، ورزقا واسعا وشفاء من كل داء وسقم برحمتك يا أرحم الراحمين**" .

فائدة ماء زمزم :

دلت الأحاديث الصحيحة على أن ماء زمزم شريف طاهر مبارك ، وقد ثبت في الصحيح من الحديث أن رسول الله ﷺ قال : "**زمزم مباركة إنها طعام طعم وشفاء سقم**[1]" .

---

(١) الحج عبادة العمر ، ص٦٩ .

وهذا الحديث الصحيح يدل على فضل ماء زمزم ، وأنه يستحب للمؤمن أن يشرب منه إذا تيسر ذلك ، ويجوز الوضوء والتطهير بماء زمزم إذا دعت الضرورة إلى ذلك .

رابعا : السعي بين الصفا والمروة :

قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا...﴿١٥٨﴾﴾ (البقرة) .

والسعي هو الانتقال من الصفا إلى المروة وبالعكس سبعة أشواط والصفا هو جبل صغير قريب من الكعبة يبدأ من عنده السعي في اتجاه المروة ، وأما المروة جبل صغير آخر في مواجهة جبل "الصفا" ويتم السعي بينهما ويبلغ طول الطريق بين الصفا والمروة حوالي ٣٧٥ متراً ويقع داخل حدود الحرم المكي وله دور علوي لتيسير السعي خلال موسم الحج .

ويشترط لصحة السعي بين الصفا والمروة ما يلي :

- أن يكون السعي سبعة أشواط تبدأ بالصفا وتختم بالمروة ولا يجوز للحاج أن ينقص عدد الأشواط أو يقصر من مسافة كل شوط .

- أن يقع السعي في ترتيب المناسك وأعمال الحج والعمرة بعد طواف صحيح .
- لابد من تتابع الأشواط متصلة .
- لابد أن يكون السعي في المسعى وهو الطريق الممتد بين الصفا والمروة لفعل رسول الله ﷺ مع قوله : "**خذوا عني مناسككم**" .

ومن آداب هذا النسك أنه يعلمنا الصبر والرحمة والحنان والارتباط بالله وحده والثقة بالله وعنايته ورعايته . فبالرغم من حالة الحيرة والقلق التي احتوت نفس هاجر على ابنها الرضيع وأخذت تسعى باحثة عن أحد أو زاد وماء لابنها ولنفسها ولكنها في نفس الوقت بل وفي نفس لحظات القلق التي انتابتها كان عندها ثقة بالله ، مادام هذا هو أمر الله إذن لن يضيعهما أبدا ، وتلك هي قمة الإيمان الذي تتجلى فيه أجمل معاني الارتباط بالله والثقة في الله واللجوء إلى الله والاستعانة به هو وحده مالك الملك رب كل شيء ، رب العالمين ، رب العرش العظيم .. عندما يشاء يسخر كل شيء لإرادته ومشيئته وحده .

وأنت يا سيدتي يا ضيفة الرحمن إذا كنت محبة لله تسعين إليه وإلى طريقه تؤدين هذه الشعائر بحب وبإحساس عميق يملأه الإخلاص والصدق وليس بمجرد حركات تقومين بها .. ستجدين نفسك وأنت تسعين بين الصفا والمروة تشعرين بالرحمة تحتويك لا تعلمين من أين جاءت وتحسين بالحنان والود لكل شيء والألفة مع كل شيء .. رحمة تعلمك الصبر .. ود يدفعك إلى الهدوء والسلام وبذلك تقتلين كل ما في نفسك من غرور وكبر وتسلط ورياء .

كيفية السعي :

هي أن تتجهي في اتجاه جبل الصفا وتقولين "**بسم الله**" وتبدأين بما بدأ به الله تعالى في قوله الكريم :

﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾﴾ (البقرة) .

وقولي بقلبك قبل لسانك :

"**اللهم إني نويت السعي بين الصفا والمروة سبعة أشواط سعي العمرة لله عز وجل اللهم أعني وتقبل مني**" .

ثم تصعدين إلى الصفا وتقفين وتنظرين إلى الكعبة الشريفة (القبلة) واجعليها تجاه صدرك وتقولين :

"الله أكبر الله أكبر الله أكبر ولله الحمد"

وكلمة السعي معناها الإسرع في المشـي ، أما الهرولة فهي الإسراع وتكون بين الميلين الأخضرين فقط وهي للرجال دون النساء وأثناء الهرولة تدعين بقولك :

"**رب اغفر وارحم ، واعف وتكرم ، وتجاوز عما تعلم إنك تعلم مالا نعلم إنك أنت الله الأعز الأكرم**" .

والسعي يعتبر من الصفا إلى المروة شوط ثم العودة من المروة إلى الصفا شوط آخر وهكذا ينتهي الشوط السابع عند المروة .

وفي كل مرة سواء عند الصفا أو عند المروة تصعدين على السفح وتتجهين إلى الكعبة وتقولين :

"الله أكبر الله أكبر ، الله أكبر ولله الحمد" .

من الأدعية المستحبة عند السعي

عند ارتقاء الصفا :

"لا إله إلا الله" ثلاثا .

ثم تحمدين الله فتقولين :

"لا إله إلا الله وحده لا شريك له .. له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير" .

"لا إله إلا الله أنجز وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده" .

ثم تدعين بما تشائين ، وتكررين ذلك ثلاث مرات ثم تأتي المروة وتفعلين مثل ذلك في كل شوط .

وأثناء السعي يستحب أن تقولين :

"رب اغفر وارحم واهدني السبيل الأقوم"

"الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله العظيم بكرة وأصيلا" .

"اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني" .

"رب اغفر وارحم انك انت الأعز الأكرم" .

"اللهم افتح لي أبواب رحمتك وأبواب فضلك" .

"اللهم اجعل في قلبي نورا ، وفي سمعي نورا ، وفي بصري نورا ، وفي لساني نورا ، وعن يميني نورا ، وعن شمالي نورا، ومن فوقي نورا ، ومن تحتي نورا ، واجعل في نفسي نورا ".

"رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري" .

سيدتي :

لم يخلق الله شيئا عبثا ، وإنما لكل شيء وجهنا الله عز وجل وأرشدنا إليه حكمة سواء أكان عبادة أم خلقا أم سلوكا أم دعوة إلى التفكير والمجاهدة في سبيله .

وأدعوك يا سيدتي أن تتأملي وتتفكري في هذه الحكمة حتى تفعلي الشيء بإتقان ومعرفة ووعي ولا تكون بالنسبة إليك مجرد حركات أو شعائر أو تعاليم لا تعرفين مغزاها وقيمتها الحقيقية .

فكما جعل الله للصلاة حكمة ،وللصيام حكمة ، كانت لشعائر الحج حكمة أيضاً .

وعن مناسك الحج لابد أن تعرفي وتتأملي لماذا شرع الله للرجل في بعض الأماكن أن يهرول مثل الكعبة والصفا والمروة وكان ذلك محظورا على المرأة .

لاشك أن لذلك فائدة وحكمة حيث إن المرأة عندما تهرول يكشف هذا السلوك عن مفاتن جسدها مما يعرضها إلى نظرة ضعف ممن حولها فيفسد الحج . لذلك عافاها الله من هذا ودعاها فقط أن تكتفي بالمشي المعتاد وأن تسرع في مشيها فقط في هذه الأماكن دون الهرولة مما يحفظ للمرأة وقارها واحترامها ومظهرها .

فلابد من مراعاة تعاليم الله عز وجل وأن تعرفي الحكمة من ورائها حتى تكون عبادتك سلوكا وخلقا،ظاهرا وباطنا ، قلبا وقالبا فتفوزين بالمغفرة والرحمة مع عباد الله الصالحين . **وإلى هنا تنتهي الأعمال الخاصة بالعمرة فقط** .

خامسا : المبيت بمنى يوم التروية (الثامن من ذي الحجة) :

من السنة التوجه إلى منى يوم التروية وهو اليوم الثامن من ذي الحجة ، فإن كانت المرأة قارنة أو مفردة توجهت إليها بإحرامها، وإن كانت متمتعة أحرمت بالحج .

ويستحب الإكثار من الذكر والدعاء عند التوجه إلى منى ، وصلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء والمبيت بها وصلاة فجر التاسع من ذي الحجة بمنى أيضا على ألا تخرج المرأة من منى إلا بعد طلوع شمس التاسع من ذي الحجة كما فعل رسول الله ﷺ متوجها إلى عرفات .

سادسا : التوجه إلى عرفات :

بعد طلوع شمس يوم التاسع من ذي الحجة يتوجه الحجاج إلى عرفات مهللين :

"**لا اله الا الله**" .

مكبرين :

"**الله أكبر**" .

ملبين :

"**لبيك اللهم لبيك .. لبيك لا شريك لك .. إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك**" .

وقد أجمع الأئمة الأربعة وجمهور الفقهاء على أن الوقوف بعرفة هو ركن الحج الأكبر الأساسي الذي لا يصح إلا به لحديث رسول الله ﷺ : "**الحج عرفة**" .

ومن السنة الشريفة أن يصلي الحاج ظهر وعصر يوم عرفة في مسجد "نمرة" ومن السنة أيضا أن يغتسل الحاج قبل الوقوف بعرفات .

الوقوف بعرفة :

ويبدأ وقت الوقوف بعرفة أو عرفات من زوال ظهر يوم التاسع من ذي الحجة وحتى طلوع فجر العاشر من أول أيام عيد الأضحى .

ويكفي الوقوف في أي جزء في هذا الوقت إلا أن من وقف بالنهار وجب عليه مد الوقوف إلى ما بعد الغروب .

ويقصد بالوقوف بعرفة هو الحضور أو الوجود نائما أو يقظا أو راكبا أو ماشيا أو قاعدا أو مضطجعا .

وينصح الوقوف بأي مكان بعرفة ويستحب الوقوف عند الصخرات أو قريبا منها .

والوقوف بعرفة هو ركن الحج الأعظم ومن فاته فلا حج له وعليه دم وعليه أن يحج في العام التالي مباشرة .

والوقوف في عرفة شعور له مذاق يشعرك بقمة العبودية لله عز وجل .. يعطيك الإحساس بالأمان والسلام .. هنا في هذا المكان الجليل العظيم .. أنت ضيفة الرحمن ، ومادمت ضيفة الرحمن فأنت آمنة سالمة من كل سوء .

أليس الوقوف في عرفات . . هو يوم الوقوف العظيم حيث الأمن والسكينة . . والرحمة والمغفرة الواسعة . . وآيات الحب الإلهي ولمسات الحنان الرباني . . ونسمات الرضا ترفرف عليك . . إنه يوم تشرقين فيه أيتها الحاجة وتمتلئين بالنفحات النورانية . . إنها ومضات لا تنطفئ . . وفيوضات لا تنتهي .

إنه ليوم عظيم لا تستطيع الأقلام أن تصفه ، ولا القلوب أن تعبر عنه ، وعما تنفعل به من أحاسيس جياشة ونبضات وجدانية . . إنه يوم تذرف الدموع فيه وكأنها أنهار . دموع الطهر . . دموع التخلص من الآثام والخطايا . . دموع الإحساس بالذنب والألم لما فعلتيه في حق الله . . دموع تطهرك من ظلمك في حق العباد .

إنه يوم تتخلصين فيه من الكبر والتسلط والرياء وتتساوين فيه مع الخلق . تشعرين فيه بالرضا والقناعة ، تتنافسين فيه المنافسة الشريفة ولا يفوز إلا من أتى الله بقلب سليم .

إنه يوم الهدى والإيمان يسبح فيه القلب في أنوار الرحمن على خطى القرآن . . طامعا في القبول والرضوان .

أليس الوقوف بعرفات . . نعمة تستحق الشكر . . أليست نعمة تستوجب السجود حباً وحمداً وشكراً لله عز وجل ، ولو سجدتي عمرك كله فلن يكفي هذا حمداً وشكراً لله .

واعلمي سيدتي التي دعاك الله للوقوف في هذا اليوم العظيم أنه يدعوك لذكره عند المشعر الحرام ويقبل سجودك بإخلاص وحمدك وشكرك له على نعمته التي أنعمها عليك . . تقدسينه . . وتسبحين بحمده . . وإن دل كل هذا على شيء فإنما يدل ويثبت ويؤكد أنه حقاً الحج عرفة كما قال رسول الله ﷺ حيث جاءت دعوة الله بذكره سبحانه وحمده عند المشعر الحرام بعد الوقوف في عرفات والإفاضة منها .

ومن أجمل لحظات الحمد ؛ اللحظة التي تنوين فيها بقلب مخلص صادق ألا يقتصر حمدك لله بالقول فقط ، وإنما أيضا بالفعل والسلوك إلى الله حبا له سبحانه وحمدا وشكرا له عز وجل حيث الارتقاء بالسلوك ، والارتفاع فوق الأحداث ، والتجاوز عن أخطاء البشر فى حقك .

وفي الحج تكثر لحظات الصفاء وخاصة يوم عرفة حيث تبدأ هذه المشاعر الصافية النورانية توجهك إلى كل ما هو خير وفاضل وكريم .

والوقوف في عرفة هو الحضور كما ذكرنا من قبل وللمكان احترامه وآدابه التي يجب أن يلتزم بها .

آداب الوقوف في عرفة :

عدم تجاذب أطراف الحديث مع أخواتك في أمور الدنيا ، والتعاون على البر والتقوى ، وعدم إيذاء الغير ، ومساعدة أي حاج يحتاج إلى العون سواء أكان مريضاً .. أو مسناً .. أو امرأة .. فإن طرق الخير كثيرة في الحج ومفتوحة دائما ولا تحتاج إلا إلى صفاء النفس ونقاء القلب .. فلتسارعي إلى الخيرات طامعة في رحمة الله وعفوه ورضاه وإحسانه وحبه .

ومن الآداب الهامة لهذا المكان أن تنشغلي بذكر الله عمن سواه ، وأن تكثري من تلاوة القرآن الكريم والدعاء والاستغفار ، إنها لحظات جليلة تتجلى فيها الرحمة والمغفرة الواسعة .

إنها فرصة فاجعليها لا تفوتك .. ولتجعلي يوم عرفة بداية لمرحلة جديدة من حياتك .. مرحلة تسعين فيها إلى الله .. وطريق

الله .. مرحلة تستعدين فيها لآخرتك .. اغتنمي فرصة الحج .. إنه رحمة تطهرك من الذنوب .. بأمر الله .. وبمشيئة الله .

واعلمي أن الشيطان لن يتركك لأنه كلما ازددت إيماناً بذل الشيطان جهدا أكبر ليغريك بالمعصية .. فليكن الحج بداية لهجر المعاصي والإقبال على طاعة الله .. عبادة ، وخلقا ، وسلوكا حبا لله وحمدا وشكرا له وحده جل جلاله .

من الأدعية المستحبة عند دخول عرفة

"اللهم إليك توجهت ، وبك اعتصمت وعليك توكلت ، اللهم اجعلني ممن تباهي به اليوم ملائكتك إنك على كل شيء قدير".

ويستحب تلاوة القرآن الكريم في عرفة والإكثار من الذكر والتسبيح والحمد والدعاء بأسماء الله الحسنى .

من الأدعية المستحبة في عرفة

"لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد بيده الخير وهو على كل شيء قدير" .

"اللهم اجعله حجا مبرورا وذنبا مغفورا وعملا صالحا متقبلا"

"اللهم اجعل خير عمرنا آخره ، وخير أعمالنا خواتيمها وخير أيامنا يوم أن نلقاك يارب العالمين" .

"اللهم إني اسألك إيمانا واثقا ويقينا صادقا حتى أعلم أنه لا يصيبني إلا ما كتب عليّ ورضني بقضائك وأعني على الدنيا بالعفة والقناعة وعلى الدين بالطاعة ، وطهر لساني من الكذب ، وقلبي من النفاق ، وعملي من الرياء ، وبصري من الخيانة فإنك تعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور" .

"اللهم لا تدع لنا في هذا الموقف العظيم ذنبا إلا غفرته ولا عيبا إلا سترته ولا ميتا إلا رحمته ولا غائبا إلا أعدته ولا مريضا إلا شفيته ولا طالبا إلا نجحته" .

"ربنا آتنا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ، وصلِّ اللهمَّ على رسولك ونبيك سيدنا محمد ﷺ" .

"اللهم لا تجعل هذا آخر عهدنا بعرفات ولا تجعل هذا آخر عهدنا بالبيت الحرام ولا تجعل هذا آخر عهدنا بالأراضي المقدسة اللهم أعدنا مرات ومرات بفضلك وكرمك وإحسانك ورحمتك يا أرحم الراحمين يا حنان - يا منان - يا حنان" .

"اللهم انا ندعوك بكل ما دعاك به حبيبك المصطفى ﷺ وعبادك الصالحون عند وقوفهم بعرفات ونستعيذ بك من كل ما استعاذ بك منه رسولك محمد ﷺ وعبادك الصالحون عند وقوفهم بعرفات" .

"اللهم اغفر ما فات واعصم فيما هو آت وارزقنا تقواك" .

"اللهم إنا نسألك رزقا واسعا حلالا وقلبا خاشعا ولسانا ذاكرا وعلما نافعا لا ينسى وشفاء من كل داء وسقم" .

"اللهم ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ، ربنا اعف عنا ، واغفر لنا ، وارحمنا ، ربنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين".

"إنا لله وإنا إليه راجعون" .

النزول إلى المزدلفة والدعاء عند المشعر الحرام :

عقب غروب شمس التاسع من ذي الحجة وبعد الفراغ من الوقوف بعرفات يبدأ الحجاج في النزول إلى المزدلفة ، والنزول هو الإفاضة التي ذكرها الله عز وجل في كتابه الكريم :

قوله تعالى : ﴿...فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ...(١٩٨)﴾ (البقرة) .

والفائض هو الشيء الذي يزيد ويفيض عن المألوف والإفاضة هنا بمعنى دفعتم منها بكثرة .

وهذا حكم من الله مسبق فإن عرفات ستمتلئ عند الخروج منها امتلاءً يكون فائضا عن العدد المحدد لها فكأنه يفيض .

وهناك إفاضة ثانية بعد الإفاضة من عرفات هي الإفاضة من المزدلفة إلى منى التي ذكرها القرآن الكريم :

قال تعالى : ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ...﴿١٩٩﴾﴾ (البقرة) .

وعندما يصل الحاج إلى المزدلفة يصلي المغرب .. والعشاء بها جمعا وقصرا جمع تأخير بأذان واحد وإقامتين ، والجمع بين المغرب والعشاء في المزدلفة سنة عن الرسول ﷺ والمبيت بالمزدلفة واجب .

وكما يتحقق الوقوف بعرفة بأي شكل كذلك يتحقق الوقوف بالمزدلفة بمجرد الوجود بأي شكل سواء كان الحاج واقفا أو سائرا أو نائما .

ومن الآداب الهامة في هذا المكان التزام الهدوء والإكثار من الذكر والتسبيح والحمد والدعاء .

ومن السنة أن يصلي الفجر لأول الوقت بالمزدلفة ثم يقف بالمشعر الحرام وهو يقع في نهاية المزدلفة ، وقبل منى بقليل إلى أن تطلع شمس أول أيام عيد الأضحى المبارك .

ويجوز للحاج أن يتوجه من المزدلفة إلى منى مبكرا بعد منتصف الليل استعدادا لرمي الجمار .

من الأدعية المستحبة في المزدلفة

"إنا لله وانا إليه راجعون" .

"إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا فسبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين" .

"الحمد لله على فضل الله والشكر لله والحمد لله ذلك الفضل من الله والحمد لله رب العالمين" .

"اللهم كما أوقفتنا وأريتنا المشعر الحرام فوفقنا لذكرك كما هديتنا ، واغفر لنا وارحمنا" .

"اللهم اغفر لنا ذنوبنا ، وارحمنا واعف عنا إنك سبحانك عفو تحب العفو فاعف عنا" .

"اللهم ارزقني في هذا المكان جوامع الخير كله . وأن تصلح شأني كله وأن تصرف عني الشر كله فإنه لا يفعل ذلك غيرك ولا يجود به إلا أنت" .

المبيت بمنى :

وفي صباح يوم العيد يتوجه الحجاج من المزدلفة إلى منى استعدادا لرمي الجمرات ويجوز له التوجه مبكرا بعد منتصف الليل ، وعلى الحاج أن يكثر من التلبية خلال رحلته من المزدلفة إلى منى ، وعليه أن يتوقف عن التلبية عند بدء رمي جمرة العقبة الكبرى .

ومن واجبات الحج المبيت بمنى ليلة الحادي عشر والثاني عشر من ذي الحجة للمتعجل ، وليلة الثالث عشر لمن أراد البقاء .

ويسقط واجب المبيت بمنى عن أصحاب الأعمال الضرورية أو للأعذار الشديدة كما يجوز ذلك لمن أراد منى ثم رمى الجمرات في أوقاتها .

كما يجوز البقاء بمكة حتى منتصف الليل ثم إتمام باقي الليل في "منى" ويكره للحاج ألا يبيت في منى ويلزم لمن لم يبت بها أن يحضر إليها لرمي الجمرات ويجوز رمي الجمرات في كل وقت ولكن الرمي بين الظهر والمغرب أفضل .

دعاء عند الوصول إلى منى

"اللهم هذه منى فامنن علي بما مننت به على أوليائك وأهل طاعتك" .

"سبحان الذي في السماء عرشه" .

"سبحان الذي في الأرض سطوته" .

"سبحان الذي في النار سلطانه" .

"سبحان الذي في الجنة رحمته" .

"سبحان الذي رفع السماء ، ووضع الأرض بقدرته" .

"سبحان الذي خلق الكون وسيره من الأزل إلى الأبد بحكمته" .

"سبحان الذي لا منجي ولا ملجأ منه إلا إليه" .

رمي الجمرات :

وهو واجب وليس ركنا .

يوم النحر :

يبدأ الحاج أعمال يوم النحر - أول أيام عيد الأضحى المبارك برمي جمرة العقبة الكبرى بسبع حصيات متعاقبات ويرفع الحاج يده مكبرا عند رمي كل حصاة ويوم النحر يبدأ بالرمي ، ثم الذبح ، ثم الحلق للرجال ، وتقصير الشعر للسيدات ، ثم الطواف بالبيت والترتيب سنة .

ذبح الهدي :

وذلك واجب على القارن والمتمتع ومستحب للمفرد والمعتمر .

وتذبح الهدي بعد رمي جمرة العقبة لمن أمكنه ذلك ويجوز تأخير الذبح لأي يوم من أيام التشريق (١١-١٣ ذو الحجة) ولا شيء على من تأخر .

ومن فاته ذلك ذبح الهدي الواجب قضاء .

والذبح في أي مكان من منى أو مكة .

التحلل الأول بالحلق والتقصير :

وهو بعد جمرة العقبة ويستحب الحلق بالموس للرجل إلا أنه يجوز له التقصير فقط .

أما المرأة فيجوز لها قص ثلاث شعرات على الأقل .

وبعد هذا التحلل يحل للمحرم كل شيء إلا النساء .

طواف الإفاضة (طواف الركن) :

قوله تعالى : ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾﴾ (الحج) .

بعد التحلل الأول يعود المحرم إلى مكة ويطوف بالبيت كما طاف طواف القدوم ، ويكره تأخيره لما بعد أيام التشريق (١١-١٣ ذو الحجة) ولا شيء على من تأخر .

وبطواف الإفاضة يتم التحلل الثاني للمحرم وبعده يحل له كل شيء حتى النساء .

تعجيل الإفاضة للنساء :

يستحب تعجيل الإفاضة للنساء يوم النحر إذا كن يخفن مبادرة الحيض وكانت السيدة عائشة رضي الله عنها تأمر النساء بتعجيل الإفاضة يوم النحر ، مخافة الحيض .

العودة إلى منى والمبيت بها :

وبعد التحلل الثاني يعود الحاج إلى منى في يوم النحر ويبيت بها ليلتين أو ثلاثا على التخيير ، والمبيت واجب ويلزم بتركه دم .

خطوات رمي الجمار :

يبدأ الحاج برمي الجمار يوم النحر ـ أول أيام عيد الأضحى ـ المبارك برمي جمرة العقبة الكبرى بسبع حصيات متعاقبات .

ويرمي في ثاني أيام العيد الجمرات الثلاث مبتدئا بالصغرى ثم الوسطى ثم الكبرى : ٢١ حصاة للجمرات الثلاث في كل يوم من أيام التشريق الثلاثة ، ثاني وثالث ورابع أيام عيد الأضحى المبارك بمعدل سبع حصوات لكل جمرة وبذلك يكون ما رماه ـ بما في ذلك حصى جمرة العقبة الكبرى أول أيام العيد سبعون حصاة .

ويقتصر الرمي أول أيام العيد على جمرة العقبة الكبرى ويبدأ الرمي من ظهر كل يوم من أيام التشريق وحتى غروب الشمس ويجوز في كل وقت ولكن يفضل الرمي بين الظهر والمغرب .

ويجوز للحاج الذي لا يستطيع الرمي - للمرض مثلا - أو الحاج المسن أن ينيب من يرمي بدلا منه بعد أن يكون قد رمى عن نفسه ، وكذلك المرأة يجوز لها أن توكل من يرمي بدلا منها في حالة عدم استطاعتها أن ترمي بنفسها.

الحكمة من رمي الجمار :

وحكمة رمي الجمار في الحج إنما هي رجم مصدر من أهم مصادر الشر والإثم والمعصية وهو إبليس .

وبرمي الجمار تنتهي أعمال الحج حيث إن رمي الجمرات يبلور عزم الحاج على هجر المعصية والابتعاد المطلق عن الإثم ..

فإنك حينما تأتين لترجمي الشيطان فأنت في الواقع تريدين أن تسدي بهذا النسك جميع المداخل التي يدخل منها إلى نفسك .

وعند رمي الجمرات لابد من الالتزام بالهدوء والنظام وأن تعقدي العزم والنية على ألا تعودي إلى المعصية وأن تصممي على

عدم إعطاء الشيطان فرصة للتسلل إلى نفسك حتى لا يفسد عليك طاعتك لله عز وجل وذلك من خلال انشغالك بذكر الله في كل لحظة ومراقبتك لسلوكياتك التي يجب أن توظف في سبيل الله متخلقة بالخلق القرآني مقتدية برسول الله ﷺ الأسوة الحسنة لنا في كل زمان ومكان حتى تصبحين في دائرة النور الإلهي .

من الأدعية المستحبة عند رمي الجمرات

عند جمرة العقبة :

"اللهم تصديقا بكتابك ، واتباعا لسنة نبيك سيدنا محمد ﷺ" .

"الله أكبر كبيرا ، والحمد لله كثيرا وسبحان الله العظيم بكرة وأصيلا" .

"لا إله إلا الله وحده لا شريك له اللهم أجعله حجا مبرورا وسعيا مشكورا وذنبا مغفورا" .

عند رمي الجمرات

"اللهم ربنا تقبل منا ، ولا تجعلنا مع المجرمين ، وأدخلنا في عبادك الصالحين يا أرحم الراحمين" .

"اللهم ربنا تقبل منا ، وعافنا وأعف عنا اللهم أحينا مسلمين ، وتوفنا مسلمين وألحقنا بالصالحين" .

"اللهم إني أدعوك خالصا مخلصا" .

"أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد عبده ورسوله" .



طواف الوداع

وبعد أن يكون الحاج قد أدى ما عليه من أركان الحج وواجباته : من الطواف حول البيت ، والسعي بين الصفا والمروة ، والوقوف بعرفة في الوقت المحدد ، والدعاء عند المشعر الحرام بالمزدلفة، ورمي الجمرات في منى .. يعود إلى مقر إقامته بمكة المكرمة مستمتعا بالطواف بالكعبة والنظر إليها .. فالنظر إليها عبادة والصلاة بالمسجد الحرام والدعاء والابتهال وتلاوة القرآن الكريم إلى أن يحل موعد سفره عائدا إلى وطنه أو مواصلة رحلته المقدسة لزيارة مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة المنورة لمن ذهب إلى مكة أولا .

فليكن آخر ما تفعله عند مغادرة مكة قبل السفر مباشرة أن تودع البيت بطواف الوداع .. تطوف وتدعو أن يتقبل أعمالك ويتجاوز عما كان منك من خطأ أو نسيان وأن يعيدك مرات ومرات ولا يجعل هذا آخر عهدك بالبيت :

قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ....﴿٨٥﴾﴾ (القصص) .

وطواف الوداع ليس ركنا من أركان الحج ولكنه واجب من واجباته .

هكذا علمنا الله شعائر الحج وأخذناها عن رسوله الكريم حيث قال ﷺ : "**خذوا عني مناسككم**" .

ويجب على الحاج أن يكثر من الثناء على الله لتفضله عليه بتيسير هذه الرحلة المباركة ، وجاء بكم مؤمنين لبيت الله الحرام ثم تعودون .. وهذه مسألة تستحق الشكر والعرفان وأن يوالي الذكر لقوله تعالى : ﴿...**وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ**...﴾ (البقرة) .

لأن هدايته لكم علمتكم أقصر طريق إلى الخير .. وعلمتكم طريق المغفرة .. ويسرته لكم مالا وصحة وسعيا .. ولذلك فإن هذه النهاية من الله تستحق الذكر والشكر .

ولكل نسك من مناسك الحج ـ سواء أكان ركنا أو واجبا ـ آدابه وأخلاقياته التي يجب أن يتزكى بها الحاج ، ومن يحب الله يسعى للالتزام بآداب شعائر الحج .

فأنت عندما تنوين الإحرام لأداء فريضة الحج تشعرين وكأنك ملاك يمشي على الأرض .. تحسين بالنقاء والصفاء

يحتويك وترين أن الدنيا صغيرة جدا ولا تستحق أن تسرعي إلى ملذاتها وتنغمسي في شهواتها ناسية الله وفضل الله عليك.

في هذه اللحظة .. وهذه اللحظة فقط تتضح الرؤية أمامك وتعقدين العزم على أن تكون الدنيا في يدك وليست في قلبك ، وأنت التي تملكينها وليست هي التي تملكك .

وتسعين إلى التفكر في الخلق القرآني ، والآداب الإسلامية طامعة في أن تتحلي بسمات وسلوكيات العبد الصالح الذي يرضى عنه الله ويستحق أن يكون خليفته في الأرض .

إن شعائر الحج جميلة ومحببة إلى النفس .. وآدابها سامية تعلو بالنفس إلى درجة من درجات الترقي والفضيلة والإحسان حيث يحتذي الإنسان المحب لله بآدابها وأخلاقياتها النابعة من آداب الإسلام، وأخلاق القرآن الكريم ، وسلوكيات الأنبياء عليهم جميعا السلام في مواقف الحياة المختلفة .

قال الله تعالى : ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ (الحج) .

ولقد ربط سبحانه وتعالى تعظيم شعائره بالتقوى ، والتقوى هي أن يقي الإنسان نفسه من غضب الله وعذابه بالابتعاد عن ارتكاب المعاصي والالتزام بمنهج الله تعالى الذي رسمه لنا في القرآن الكريم ، وبينه لنا رسول الله ﷺ فنفعل ما أمرنا الله تعالى به وتبتعد عما نهانا عنه .

ويتضمن مفهوم التقوى أيضا أن يتوخى الإنسان دائما في أفعاله الحق والعدل والأمانة والصدق وأن يعامل الناس بالحسنى ويتجنب العدوان والظلم ، وان يؤدي الإنسان كل ما يوكل إليه من أعمال على أحسن وجه لأنه دائم التوجه إلى الله تعالى في كل ما يقوم به من أعمال ابتغاء مرضاته وثوابه .

وبهذا المعنى تصبح التقوى طاقة موجهة للإنسان نحو السلوك الأفضل والأحسن ونحو نمو الذات ورقيها ، وتجنب السلوك المنحرف الشاذ .

وكل هذه الصفات من آداب شعائر الحج وأخلاقياته التي يجب أن يلتزم بها الحاج في رحلته ، وبهذه الأخلاقيات يعظم شعائر الله ، ومن يعظم شعائر الله يحظى بصفة التقوى ويصبح من المتقين .

ولنتأمل التعبير القرآني حيث أثنى الله عز وجل على من يعظم شعائر الله أنها من تقوى القلوب .. فالقلب هو محل التقوى .

ولا يرتبط تعظيم شعائر الله بكيفية عمل أو أداء هذه الشعائر فقط وإنما تعظيمها عبادة وخلقا وسلوكا مما يكون له الأثر الفعال في حياة الإنسان المختلفة.

وهكذا يعود الحاج من رحلته شخصا جديدا .. إنسانا آخر وكأنه ولد من جديد .. يبدأ صفحة جديدة في حياته .. يتملكه حب الله .. ويسكنه نور الله .. يضيء حياته بسلوكياته التي تقربه إلى الله وينير طريقه بعمله الصالح الذي يرضي الله .. فيهجر المعاصي ويبتعد تماما عن الآثام والخطايا ، ويتخذ الشيطان وحلفاءه وأولياءه أعداء له .. يرجو من الله أن ينجيه منهم ويرحمه وألا يكون لهم عليه من سلطان .

"اللهم لا تسلط علينا من لا يخافك ولا يخشاك" .

"اللهم لا تولي أمورنا إلى من لا يرحمنا ، وارحمنا ونجنا من القوم الظالمين وارحمنا واحفظنا فأنت سبحانك خير الحافظين وأرحم الراحمين" .

دعاء طواف الوداع

وإذا فرغ الحاج من طواف الوداع فليصل ركعتين بالمسجد الحرام ثم يدعو الله ضارعا إليه قائلا :

"إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد" .

"يا معيد أعدني ، ويا سميع اسمعني ، ويا مجير أجرني ، ويا ستار استرني ، ويا رحمن ارحمني ، وارددني إلى بيتك هذا وارزقني العودة ثم العودة مرات ومرات تائبين عابدين لربنا حامدين، صدق الله وعده ، ونصر عبده ، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده" .

"اللهم اكتب لنا السلامة والعافية ، واجعل الغنيمة لنا ولعبيدك الحجاج والزوار والغزاة والمسافرين والمقيمين في برك وبحرك من أمة محمد ﷺ" .

"اللهم احفظني حتى أصل إلى أهلي وبلدي ، فإذا وصلت إلى أهلي وبلدي فأسألك ألا تخليني من رحمتك طرفة عين" .

"اللهم كن صاحبا لي في السفر والمقام والحل والترحال ، والخليفة في المال والأهل ، اللهم أعوذ بك من الهم والحزن ، وأعوذ بك من العجز والكسل وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال" .

كيف تحافظين على حجك مدى الحياة

لا شك أن شعائر ومناسك الحج محدودة ومعروفة لكل حاج وهي محببة إلى النفس لدرجة أن كل حاج يحرص كل الحرص على أن يؤديها بكل الدقة والإخلاص وأن يؤديها على أكمل وجه ولا ينقصها شيء ، ولا يشوبها شيء طامعا في مرضاة الله ومغفرته ورحمته .

ورحلة الحج لا تستغرق بشعائرها ومناسكها سوى أيام معدودات لتعودين بعدها إلى أعمال الدنيا وتواجهين سؤالا هاما هو:

كيف تحافظين على معاني الحج وثوابه ؟

ليس الحج فقط شعائر وعبادات أديتيها وانتهيتي منها ولكن:

كيف تحجين إلى الله بقية عمرك ؟

هذا هو السؤال الذي ينبغي أن تعدين نفسك للإجابة عليه بعد أن يسر الله لك وأعانك على أداء فريضة الحج .

يجب علينا أن نتعلم كيف يمتد أثر الحج إلى البقية الباقية من عمرنا .

لا نريد بشرا انتهت صلتهم بمعاني الحج بمجرد أن خلعوا ملابس الإحرام .

بل نريد أناسا يعيشون معاني الحج وأخلاقه بقية عمرهم ..

هذا هو الحج الصحيح .. وهذا هو الحج الأبدي الخالد .

إن الإجابة على ذلك هو أن يخرج الإنسان من إحرام المظهر إلى إحرام الجوهر .. كيف ؟

بمجرد أن أحرمت امتنعت عن الكثير من المظاهر الدنيوية السائدة .. امتنعت عن لغو الحديث ، والنظرة المختلسة ، والغيبة ، والنميمة ، والحقد والحسد امتنعت عن كل آفات النفس فتطهر القلب من شوائبه وأمراضه .

فلماذا لا تستمرين هكذا بعد تحللك من الإحرام أي أن تعيشي محرمه في سلوكك وفي أخلاقياتك .. في لسانك .. في قلبك .. بمعنى تنتقلين من إحرام المظهر الزائل إلى إحرام الجوهر الباقي .

هذا هو ما نريده من الحج ، وهذا هو ما ينبغي أن ننشده من هذه الرحلة العظيمة .

وهذا لا يتحقق إلا من خلال استحضار العبد لله دائما في قلبه ، ويداوم على ذكره وشكره وأن يستشعر دائما أنه لازال في ملابس الإحرام . . في معية الله . فما لا تقبلين أن تفعليه وأنت

بملابس الإحرام في كنف الكعبة وبين يدي الله . . حتما لن تقبلي أن تفعليه أيضاً وأنت تستشعرين أنك لازلت محرمة ويراقبك الله .

ولما سئل الرسول ﷺ مرة عن الإيمان فقال : "**الإيمان أن تؤمن بالله واليوم الآخر ، وهو ما وقر في القلب وصدقه العمل**" .

وعن الإحسان قال ﷺ : "**الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**[1]" .

والإخلاص سر من أسرار الله استودعه الله قلب من أحبه من عباده .

لقد ذهبت سيدتي . . حاجة إلى الله مخلصة في ذلك فلتعدي نفسك كذلك . . في حياتك مخلصة لله .

بعد الحج . . ستعودين إلى منزلك . . فلتتقي الله في أهلك ولتتقي الله في زوجك وأولادك ، ولا تعلمي أولادك إلا مكارم الأخلاق وأفضلها . . وعلميهم كتاب الله . . حببيهم في الإيمان بالله علميهم حب الله ودوام ذكره . . علميهم أن المودة والرحمة والألفة

---

(١) رواه البخاري

والمحبة هي كلها وسائل إلى الله ومن الله . . علميهم كيف يشكرون نعمة الله بالصلاة والزكاة وصلة الرحم ، وعلميهم أن الإنسان مهما طال عمره فمرجعه إلى الله .

بعد الحج . . ستعودين إلى عملك . . فتذكري قول رسول الله ﷺ : "**إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه**" .

اتقي الله في عملك وأتقيه مهما صغر شأنه لأن العمل ليس بحجمه ولكن بإتقانه . . العمل الكبير هو كذلك بمدى إتقانك له ودون ذلك يصبح عدماً . . يصبح عديم الفائدة .

عملك أمانة فلتؤديه على أكمل وجه كما أديت فريضة الحج . . وتذكري أن كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته . . في بيتك راعية ، وفي عملك راعية ومسئولة أمام الله عن رعيتك وتذكري أن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا .

بعد الحج . . ستعودين إلى جيرانك ، فتذكري حق الجار عليك من مودة وألفة وحسن الجوار .

بعد الحج . . ستعودين للسير في شوارع المدينة فتذكري حق الطريق وآدابه وتذكري أن من الإيمان إماطة الأذى عن الطريق .

بعد الحج . . ستعودين إلى والديك فتذكري قول الله سبحانه وتعالى : ﴿...فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ (الإسراء) .

واتقي الله فيهما كما اتقوه فيك .

بعد الحج . . ستعودين إلى مخالطة الناس من أصدقاء وزملاء ومعارف . . فليكن عنوانك بينهم مكارم الأخلاق وأفضلها ولتتذكري قول رسول الله ﷺ : "**المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أفضل من المؤمن الذي لا يخالط الناس ، ولا يصبر على أذاهم**"(١) .

تحلي بالصبر والعفو عند المقدرة وأحسني يحسن الله إليك ولتكوني كما وصف الله المؤمنين في كتابه الحكيم .

---

(١) ذكره أحمد في مسنده ، والبخاري في الأدب ، والترمذي وابن ماجة ، والسيوطي في الجامع الصغير

قال تعالى : ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ...﴾ (الفتح) .

لن تكفينا صحف الأرض كي نعد ما يمكن أن نكون عليه بعد الحج ولكننا نلخص ذلك بالقول . . فلنكن محرمين .

ولقد ذهبت وأنت حريصة كل الحرص على أن تكوني محسنة في كل ما تفعلين . . فلتعودي بعد الحج كذلك بقية حياتك محسنة . . خلوقة . . تعبدين الله كأنك ترينه .

هذا هو الحج الحقيقي . . سلوكا وخلقا ومعنى ، وهذا هو الحج الأبدي الخالد ، فهل تحبين أن يكون حجك كذلك ؟ الإجابة بك ومنك وإليك .

زيارة رسول الله ﷺ

وآدابها



من يحب الله عز وجل يحب رسول الله ﷺ ، ولا تقبل النفس المحبة لرسول الله ﷺ أن تذهب إلى الحج دون أن تزور رسول الله ﷺ في المدينة .. فالمؤمنون يحبون رسول الله ﷺ .

ويقول الله سبحانه وتعالى : ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ...﴾ (آل عمران) .

ولا يصدق إيمان المسلم حتى يكون رسول الله ﷺ أحب إليه من نفسه .. وهذه الزيارة وإن لم تكن ركنا من أركان الحج .. إلا أنها مسألة نفسية وقلبية .

إذن فزيارة رسول الله ﷺ في المدينة ليست منسكا من مناسك الحج .. ولكنها أدب من آداب الإسلام .

وشاءت إرادة الله سبحانه وتعالى أن يقيم رسول الله ﷺ بالمدينة كما اختار سبحانه وتعالى لنبيه ﷺ أن يموت في المدينة ، تعظيما لشأنه ورفعا لمقامه .. وحتى لا تكون زيارته تبعا لزيارة بيت الله الحرام وإنما تكون زيارته مستقلة وخاصة به ونابعة من عشقه وحبه .

وفي المدينة سر رباني لا يستطيع أحد أن يفهمه أو يتعمق فيه .. إنه شعور له مذاق غريب حيث يحبها كل من يزورها .. إنها خفيفة محببة إلى النفس بالرغم من المشقة التي يعانيها الإنسان كي يصل إليها ولكنها مشقة على هوى الإنسان .. وتنتهي هذه المشقة والتعب عند وصوله إلى المدينة وهذا من أسرارها .

في الكعبة يشعر الإنسان بالرهبة والخشوع ، وفي كل نسك من مناسك الحج أو العمرة يشهد عظمة الخالق ووحدانيته وقدرته حيث تتجلى أعظم آيات الحب الإلهي ويحس العبد بقمة العبودية لله وحده لا شريك له .

وفي المدينة يشعر العبد بحب رسول الله ﷺ ومكانته عند الله، ويتأمل كيف عانى رسول الله ﷺ وجاهد في سبيل الله وأحبه فأصبح قدوة وأسوة حسنة لنا نقتدي بها فنتأمل جهاده وحبه لله سبحانه وتعالى ومعاملاته التي هي خلق القرآن الكريم .

وهدف كل زائر إلى المدنية المنورة أن يحظى بشرف الصلاة في مسجد رسول الله ﷺ ثم يقوم بزيارته ﷺ .

ولمسجد رسول الله ﷺ أو الحرم المدني حدوده ، كما أن للحرم المكي حدوده .. فلا ترتكب المخالفات ولا يصاد الطير ، ولا يباح الصيد ولا قطع شجرة إلا خارج الحرم .

وتحية المسجد الحرام في مكة المكرمة هي الطواف بالكعبة ، أما في المسجد النبوي الشريف فهي صلاة ركعتين ، ثم تبدأ الزيارة الشريفة المباركة لرسول الله ﷺ .. زيارة لابد أن يملأها الأدب والخشوع .. نستحضر فيها عظمة رسول الله ﷺ ومكانته عند ربه .

إن المطلوب في هذا المكان هو أن يكون الصوت خافتا خاشعا لا يعلو ، وأن يكون سلوك العبد متأدبا هادئا بلا زحام أو دفع ، أو شجار أو احتكاك .. لابد أن نعرف أننا في حضرة رسول الله ﷺ .. أكرم خلق الله ، وأقربهم إلى الله وحينما نحييه فهذا شرف كبير لنا ونشهد له شهادة حق أنه أدى الرسالة ، وبلغ الأمانة ونصح الأمة ثم ندعو الله بما نشاء أو بما يفيض به الله علينا .

وليس معنى وقوفنا أمام مسجد رسول الله ﷺ أن نلقي خطبة .. فهذا موقف جليل يعجز فيه أبلغ الناس ، ويشعر الإنسان فيه بأن أساليبه المحدودة لا تقوى على التعبير عما في نفسه حبا لله

ولرسول الله ﷺ ومهما قال الإنسان من كلمات فلن يستطيع أن يفي رسول الله ﷺ حقه .

لا يملك الإنسان في مثل هذه المواقف الجليلة .. العظيمة إلا أن يخشع ويتوجه إلى الله بقلبه سائلا إياه أن يجعله في طريقه ورضاه .. وأن يضع على لسانه ما يرضي ربه ورسوله وما يقربه إليهما .

ويكثر العبد المحب لله من الجلوس في مسجد رسول الله ﷺ والانشغال بالعبادة وحدها حيث يصلي ، وعند انتهاء الصلاة يقرأ القرآن الكريم .. فإن لتلاوة القرآن في حضرة من نزل عليه القرآن خشوع وهيبة وجلال لا يشعر به إلا من جلس يقرأ القرآن في مسجد رسول الله ﷺ ثم يسبح ، ويكثر من ذكر الله ، وحمد الله ، وتقديس الله ، وتكبير الله ، واستغفار الله ، ثم يصلي على رسول الله ﷺ ثم يدعو بما يشاء له ولمن يحب .

ويحرص العبد على الإكثار من جلوسه في الروضة الشريفة حيث قال رسول الله ﷺ : "**ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة**" .

إن للصلاة وتلاوة القرآن الكريم في الروضة الشريفة ثواب وفضل كبير مما يجذب اهتمام وحرص العبد على ألا يفوته أن يجلس

في الروضة الشريفة ، وأن يكثر من صلاته وقراءته للقرآن الكريم وتسبيحه وذكره لله عز وجل على قدر ما يستطيع وما يتيسر له داعيا ربه أن يجعله مغفور الذنب .. متقبل التوبة .. وأن يعمر قلبه بالإيمان وحب الله عز وجل ، وحب رسول الله ﷺ .

آداب زيارة رسول الله ﷺ :

إن من أعظم الطاعات وأجل العبادات أن يتوجه المسلم إلى المدينة المنورة لزيارة رسوله ﷺ الذي هداه إلى الإسلام وملأ قلبه بنور الإيمان ، سيدنا محمد ﷺ النبي الأمي العربي عملا بقوله ﷺ : "**من زارني بعد موتي ، فكأنما زارني في حياتي**"[1] .

ولزيارة الرسول ﷺ آداب يراعيها الزائر وهي :

١- أن يغتسل الزائر قبل دخوله المدينة ، ويلبس أحسن الثياب ويتطيب بالروائح الزكية .

٢- أن يكثر من الصلاة والتسليم على النبي ﷺ .

قال الله تعالى : ﴿...يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ۝﴾ (الأحزاب) .

---

(١) ذكر في منهاج المرأة المسلمة صفحة ٧٢ .

٣- وتمتد يده بالصدقة والإحسان على الفقراء والمحتاجين .
٤- ويصلي ركعتين لله تعالى عند دخوله المسجد بين قبره الشريف ومنبره ، وهو المكان الذي كان يصلي فيه الرسول ﷺ ، ويدعو الله أن يوفقه إلى السعي في الخير وعمل الإحسان وكل ما يرضي الله ورسوله .
٥- ثم يتوجه إلى قبر الرسول ﷺ مستقبلا رأس القبر الطاهر ، ويقف بعيدا عنه نحو أربع أذرع بكل أدب واحترام متوجها نحو القبلة ويقول : "**السلام عليك يا نبي الله ورحمة الله وبركاته ، أشهد أنك رسول الله ، فقد بلغت الرسالة ، وأديت الأمانة ، ونصحت الأمة ، وجاهدت في الله حق جهاده فجزاك الله عنا خيرا**" .

"اللهم آت سيدنا محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته إنك لا تخلف الميعاد" .

"اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما صليت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم إنك حميد مجيد" .

ثم تسلم على سيدنا أبي بكر ﷺ وسيدنا عمر ﷺ .

٦- وإذا انتهت زيارته وأراد السفر ودع المسجد بصلاة ركعتين، وأتى القبر الشريف ، وأعاد مثل ما تقدم ، ويدعو له ولسائر المسلمين بالعفو والتوفيق إلى صالح الأعمال .

إن لأداء العبادة في مسجد رسول الله ﷺ جمال ومذاق خاص لا يشعر به إلا من كان مخلصا ومحبا لله ولرسوله .. إنها تملأ القلب والروح والوجدان والفؤاد بنفحات إيمانية قد لا نفهمها ولكن نحسها ونعيش فيها ولا نملك التعبير عنها إلا أن نسجد حمدا وشكرا لله عز وجل .

سيدتي ...

بلا شك إنها نعمة إذ منحك الله فرصة الذهاب إلى المدينة وزيارة رسول الله ﷺ . نعمة تستوجب الشكر والحمد والصلاة على رسول الله ﷺ كثيرا حيث البركة والخير .

وفي الحقيقة هناك سلوك واضح وملحوظ عند قيام النساء بزيارة رسول الله ﷺ حيث عندما يقتربن من قبر رسول الله ﷺ تنتشر الزغاريد في كل مكان .

حقا إنه سلوك فطري يعبر عن فرحتهن وشكرهن لله لأنه وفقهن ويسر لهن زيارة رسول الله ﷺ ولكن للمسجد قدسيته

واحترامه وهيبته ونرى أنه من الأفضل أن يسجدن حمدا وشكرا لله ويكثرن من التسبيح وذكر الله وحمد الله كتعبير عن فرحتهن وامتنانهن لله سبحانه وتعالى الذي حقق لهن أداء هذه الزيارة وبذلك يتوفر ويتحقق للمكان القدسية والرهبة والخشوع الذي يصاحبه الهدوء والسلام .

كما أنه من الملاحظ أيضا شغل بعض النساء مكانا كبيرا عند قبر الرسول ﷺ يجلسن يقرأن القرآن فيه مما يعيق حركة السير ويمنع الكثيرات من أداء الزيارة بيسر وسهولة ، مما يؤدي إلى الدفع بالأيدي والمزاحمة فيفسد آثار هذه الرحلة من التعاون والبر والصفاء النفسي .

ونود أن نشير إلى أنه يفضل الصلاة وتلاوة القرآن الكريم عند الروضة الشريفة ، فالصلاة هناك لها ثواب كبير أما مكان قبر الرسول ﷺ فهو مخصص لزيارته والسلام عليه ﷺ وحتى تتاح الفرصة والمكان لأكبر عدد من الزائرين .

إننا في أشد الحاجة لمراعاة قول الله تعالى : ﴿...وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ...﴿٢﴾﴾ (المائدة) .

فلنتعاون ونتحد جميعا ونفسح لبعضنا البعض ونحرص على مساعدة بعضنا لأداء فريضة الحج بسلام . ولأداء العبادة بهدوء وثبات وأن نتمسك بتعاليم ديننا الحنيف ونبتعد عن المفاهيم والسلوكيات التي تتنافى مع أخلاقيات دين الإسلام ، الدين الذي اصطفاه الله لنا ، والذي إن تمسكنا به لن نضل أبدا .

قال تعالى : ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ (آل عمران) .

إننا جميعا في موسم الحج في معية الله وضيوف الرحمن .. فلننتهز الفرصة لننعم بالفيوضات الإلهية .. والتجليات الرحمانية .. والفتوحات الإشراقية فيصبح الحاج عبدا ربانيا بأمر الله .. وبرحمة الله .. يحتويه نور الله .. ويسكنه حب الله ويملأه الرضا والسكينة والسلام .



آثار رحلة الحج



لكل شيء في الحياة أهمية ، ولكل عمل يؤديه الإنسان فائدة واستفادة يتأثر بها وتؤثر في جوانب حياته تأثيراً فعالاً حيث يدرك أن كل لحظة في حياته تشهد تغيراً مؤثراً يعود على حياته بالارتقاء في طريق الله .

ولقد جعل سبحانه عطاءه يختلف من شخص إلى آخر ، ومن شيء إلى آخر بما يسمح به الله ويأذن حتى يأخذ كل إنسان من عطاء الله على قدر إيمانه بالله ، وحبه لله ، وإخلاصه في طريق الله .

وإذا سمحنا لأنفسنا أن نتحدث عن الله ، وتركنا لأقلامنا العنان لتسطر عطاء الله ، وفتحنا لقلوبنا الطريق لتنبض بحب الله وتلمس حنان الله فسنشعر بالرهبة والخشوع والنور يملأ وجداننا والصفاء يحيط بنا ونصل في النهاية إلى العجز . . العجز عن الحديث عن الله . . العجز عن وصف عطاء الله . . العجز عن التعبير عن فيض الله وعظمة آيات الحب الرباني وروعة لمسات الحنان الإلهي مما يقودنا إلى الإيمان بالله والسجود لله الواحد القهار حامدين شاكرين الله مؤمنين عارفين ذاكرين فضل الله علينا ولولا فضل الله ورحمته لكنا من الخاسرين .

والحج هو إحدى العبادات التي تتميز بعطاء يختلف من شخص إلى آخر ، وفيه تتجلى الفيوضات الربانية ، وبه يتغير العبد المؤمن سلوكاً وخلقاً فيمنحه الله عز وجل البركة في حياته هبة ومنحة منه سبحانه .

إن آثار رحلة الحج عظيمة في حياة الإنسان ومتنوعة ، ولها الأثر الفعال ، ومنافعها يشهدها كل من يحج بيت الله الحرام وهي تنقسم إلى:

أولاً : منافع الحج :

قال تعالى : ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا ٱسْمَ ٱللَّهِ...﴿٢٨﴾﴾ (الحج) .

ومن هذه المنافع التي يشهدها كل من يحج بيت الله :

١- صفاء النفس واستقرار الإيمان :

للكعبة مهابة وجلال وتعظيم ، فالطائفون حولها والناظرون إليها تغمرهم مشاعر روحية يعجز الإنسان عن وصفها ولكنها تستقر في ضمائر المؤمنين وتملأ نفوسهم بالإيمان واليقين .

فقد جعل الله عز وجل الكعبة البيت الحرام قياماً للناس ، أي يقوم عندها أمر الدين والدنيا ، فعندها يتم الحج ويتجه الناس في الصلاة ، ويتجمعون من كل فج عميق ، ويتبادلون المنافع ، ويتشاورون فيما ينفعهم .

وفي رحلة الحج تكثر لحظات الصفاء حيث يصفو الإنسان ويرتقي بقلبه وينشغل بالله ، وينعم بحب الله وطريق الله فيصل إلى كل ما يتطلبه طريق الصعود والارتقاء من التوبة والصدق والصفاء والإخلاص والنقاء والرضا والعفو وكظم الغيظ والصبر والشكر والبر والإحسان والتقوى ، مما يقربه من الله .

وتبدأ هذه المشاعر الصافية النورانية توجهه إلى ما هو خير وفاضل وكريم .. توجهه إلى العفو . . وإلى الكرم . . إلى الرحمة . . وإلى الارتقاء فوق الأحداث . . وإلى الصبر والشكر .. فيحمد الله كثيراً على الهدى ونعمة الإيمان وغيرها من النعم التي أفاض الله بها عليه .

٢- منافع ثقافية وتجارية :

في الحج توسعة لأفق المسلم الثقافي ، ووصل له بالعالم الكبير من حوله ، وتدريب على مفارقة الأهل والوطن والتضحية بالراحة في الحياة الرتيبة بين الآل والأصحاب .

وفي الحج منافع تجارية متبادلة حيث تعرض كل بلد نماذج تجارتها وصناعتها ، وقد كان بعض المسلمين في زمن الرسول ﷺ يتحرجون من التجارة في أيام الحج ، ويتركون كل عمل دنيوي يدر عليهم ربحاً مادياً خشية أن ينال ذلك من عبادتهم أو يحط من مثوبتهم عند الله عز وجل ، فأباح الله لهم التجارة والربح ما دامت النية خالصة للحج .

٣- الوحدة والمساواة والسلام :

في الحج نرى معنى الوحدة جلياً واضحاً ، وحدة في المشاعر، ووحدة في الشعائر ، ووحدة في الهدف ، ووحدة في القول والعمل . . لا إقليمية ولا عنصرية ، ولا عصبية للون أو جنس أو طبقة . إنما هم جميعاً مسلمون ، ربهم واحد ، ونبيهم واحد ، وكتابهم واحد ، وقبلتهم واحدة ، وعملهم واحد ، وهدفهم واحد، فأي وحدة أعمق من هذه ؟؟

وفي الحج نرى المساواة في أجلى صورها وأتمها ، فالجميع قد خلعوا ملابسهم ورتبهم ونياشينهم مظاهرهم ولبسوا ثيابا بيضاء ، متساوية في لونها ومظهرها ، وتتجلى المساواة في الطواف والسعي وكل أعمال الحج .

وقد كان أهل الجاهلية يتخذون من موسم الحج مجالاً للتفاخر بالأنساب والآباء فوقف النبي ﷺ يخطبهم في أيام الحج ويعلنهم بمبدأ الإسلام العالمي :

"يأيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد ألا لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأعجمي على عربي ، ولا لأحمر على أسود ، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى" .

فالتقوى هي الميزان ، وهي ما يميز عبداً عن آخر بصرف النظر عن لقبه أو مركزه أو حسبه أو نسبه .

والحج طريقة فذة لتدريب المسلم على السلام ، وإشرابه روح السلام فهي رحلة سلام إلى أرض السلام ، في زي السلام .

فأرض الحج منطقة أمان وسلام ، وأعمال الحج تقع في شهري ذي القعدة وذي الحجة ، وهما من الأشهر الحرم التي جعلها

الله هدنة إجبارية تغمد فيها السيوف ، وتحقن فيها الدماء ، ويوقف القتال وتلتقط النفوس أنفاسها في هدوء وتفكر في روية وأناة ، تدريباً للإنسان على السلام .

قال تعالى : ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ...﴿٣٦﴾﴾ (التوبة) .

وهذه الأشهر هي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب ، ثلاثة أشهر متوالية فيها أيام الحج - وشهر مفرد هو شهر رجب .

والمسلم حين يحرم بالحج يظل فترة إحرامه في سلام حقيقي مع من حوله وما حوله فلا يجوز له أن يقطع نباتا ، أو يرمي صيداً ، بل لا يجوز للمحرم أن يحلق شعره ، أو أن يقص أظافره حتى يتحلل من إحرامه .

فهل هناك تطبيق عملي للسلام ، وتدريب عليه كهذا الذي صنعه الإسلام في رحلة الحج ، رحلة السلام إلى أرض السلام في زمن السلام ... ؟!

وقد أكد الإسلام معنى السلام في حياة المسلمين فجعل الصلاة تبدأ بالتكبير وتنتهي بالسلام ، وجعل تحية المسلمين هي السلام ، والله اسمه السلام ، والقرآن نزل في موكب من السلام ، والجنة اسمها دار السلام ، ولن يتردد المسلم في قبول السلام إذا دعي إليه .

قال تعالى : ﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾﴾ (الأنفال) .

٤- الحج مؤتمر عالمي :

الحج يتيح للمسلم أن يشهد أعظم مؤتمر سنوي إسلامي ، مؤتمر لم يدع إليه ملك أو رئيس حكومة أو هيئة ، بل دعى إليه الله العلي الكبير ، الذي فرض إقامته كل عام على المسلمين .

فهناك يجد المسلم إخوانا له ، من قارات الدنيا الخمس ، اختلفت أقاليمهم ، واختلفت ألوانهم ، واختلفت لغاتهم ، وجمعتهم رابطة الإيمان والإسلام ، ينشدون نشيداً واحداً .

"لبيك اللهم لبيك" .

إن هذا المؤتمر له أكثر من معنى وأكثر من إيحاء ، إنه يحيي في المسلم الأمل ، ويطرد عوامل اليأس ، ويبعث الهمة ، ويشحذ العزيمة. فالتجمع يوحي دائما بالقوة ، ويوقظ الآمال ويذكر المسلم بحق أخيه المسلم ، يذكر المسلمين بأخوة الإسلام ، ورابطة الإيمان .

وقد كتب أحد المبشرين بالمسيحية في تقرير له عن مدى جدوى التبشير في بلادنا الإسلامية وخاصة في مصر فقال :

"سيظل الإسلام صخرة عاتية تتحطم عليها سفن التبشير المسيحي ما دام للإسلام هذه الدعائم الأربع (القرآن . . والأزهر . . واجتماع الجمعة الأسبوعي . . ومؤتمر الحج السنوي"[1] .

ثانياً : الفوائد النفسية :

١- إن زيارة المسلم لبيت الله الحرام في مكة المكرمة ، ولمسجد رسول الله ﷺ في المدينة المنورة ، ولمنازل الوحي ، وأماكن البطولات الإسلامية تمد المسلم بطاقة روحية تزيل عنه كرب الحياة وهمومها ، وتغمره بشعور عظيم من الأمن والطمأنينة والسعادة .

---

(١) الدكتور يوسف القرضاوي : العبادة في الإسلام .

٢- تدريب الإنسان على تحمل المشاق والتعب .

٣- التواضع حيث يتساوى جميع الناس : الغني منهم والفقير ، والسيد والمسود ، والحاكم والمحكوم .

٤- تقوية روابط الأخوة في جميع المسلمين من مختلف الأجناس والأمم والطبقات الاجتماعية حيث يجتمعون جميعاً في مكان واحد وزمان واحد يعبدون الله ويبتهلون ويتضرعون إليه .

٥- ضبط النفس والتحكم في شهواتها واندفاعاتها إذ يتنزه الحاج عن الجدل والخصام والشحناء والسباب والمعاصي وكل ما نهى الله عنه ، وفي ذلك تدريب للإنسان على ضبط النفس وعلى السلوك المهذب ، ومعاملة الناس بالحسنى وفعل الخير .

قال تعالى : ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾﴾ (البقرة) .

فالحج هو جهاد للنفس يجتهد فيه الإنسان حيث يهذب نفسه ، ويقاوم أهواءه واندفاعاته ، ويدرب نفسه على تحمل المشاق وفعل الخير وحب الناس .

٦- تغيير مألوفات العادات والطباع الرذيلة والمستعصية وغسل النفس من أوحال الرفث والفسوق والعصيان والجدال والحج باب مفتوح للنفس كي تعيد حساباتها ، وترجع عن غيها ليعتدل أمرها ، وتهجر فسوقها ، وعنادها لتدخل في طاعة الله .

٧- اكتساب عادات جديدة وأخلاق طيبة في طاعة الله مما يساعد على الابتعاد تماما عن الآثام والخطايا في هذه الفترة الزمنية مما يبعث على التوازن والاعتدال والقسط والقصد والقوامة .

٨- انصراف العبد بالكلية إلى الله مما يساعده على تفرغ النفس من الهموم والهوى والمشاكل الدنيوية التي لا تنتهي .

٩- الرضا . ويصاحب الرضا الشعور بالسكينة ويحتوي السلام نفس الإنسان ويغلب على جوانحه . . . ويتعجب لماذا كان ينفعل ويثور . . ؟ لماذا كان يغضب ويترك لانفعالاته الجامحة العنان مما يجعله يؤذي غيره ؟ لماذا كان يعترض ، ويتأفف .

لماذا لم يشعر بالألم نحو إخوانه الذين كانوا في حاجه إليه .؟
كيف سولت له نفسه أن يغضب الله ويظلم غيره . . ؟
لماذا . . كان دائما في حالة عدم الرضا عن أي شيء ؟

هنا في الحج ، وفي عرفة ، وعند الطواف ببيت الله الحرام ، وفي مسجد رسول الله ﷺ يعرف الحاج معنى الرضا وقيمته وحلاوته. والرضا لمن يرضى .

ثالثاً : الدروس المستفادة :

إن للحج . . دروساً مستفادة ، إذا استفاد منها الإنسان حق الاستفادة فإنها تؤثر على حياته وسلوكه وأخلاقه وطريقه فينال ثواب الله في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويقوده إلى سر السعادة الكاملة وينعم بالأمن النفسي والسكينة ويرفرف السلام الروحي بأجنحته على قلبه وفؤاده فيهرب الضياع والقلق من حياته ، ويمن الله عليه بالبركة في كل شيء في حياته ، فيشعر بالرضا يملأه وبالقناعة تحتويه، والسلامة تسكنه .

ومن هذه الدروس المستفادة التي تجلب له كل هذا الخير ما يلي :

١- الصبر والشكر :

يتعلم الإنسان من الحج الصبر والشكر حيث يصبر الإنسان على أذى الآخرين ، فمن الممكن أن يتعرض أثناء الحج إلى الأذى من الغير سواء بالقول أو بالفعل ، ومن شدة الزحام يتعرض إلى الدفع أو الضرب بالأيدي . ولكي يحصل على مرضاة الله وحتى لا يفسد حجه عليه ألا يعترض أو يتأفف وأن يصبر على ذلك صبراً جميلاً حباً لله ، والصبر على الأذى درجة من درجات الإحسان .

وفي الصبر فائدة عظيمة في تربية النفس وتقوية الشخصية وزيادة قدرة الإنسان على تحمل المشاق .

فالصبر هو القوة الدافعة والشحنة الواقية لنا في السلوك الإنساني فهو يدفعنا إلى العمل الصالح والخير الفاضل ويقينا من الوقوع في حبائل الشيطان ، حتى لا تقع في الإثم والخطأ والعدوان فنضل ونشقى . . إن الصبر هو المعرفة الحقة والمسلك الواقعي الذي إذا اتخذه الإنسان في حياته شعر بقوة كبرى تسري في كيانه كله يستمدها من الله عز وجل وتمنحه الإحساس بأنه في طريق الصبر حبا في الله . . وطاعة له تعالى وطمعا في رحمته وثوابه حيث قال الله عز وجل في كتابه الكريم :

﴿ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ (البقرة) .

فيهنأ بالرضا والأمان والاستقرار النفسي وينعم بالسكينة والطمأنينة القلبية فيشعر بالسعادة النفسية والروحية .

ففي الحج جهاد يسعى إليه الإنسان تقرباً إلى الله ولمرضاة الله ومن صفات الجهاد الصبر والهدوء والحكمة والثبات والقدرة على التحكم في الانفعال وكلها مواصفات تتطلب سلوكيات خاصة وأخلاقيات عالية . . وهذا هو ما يتطلبه الحج ومن أخلاقياته وسماته.

وكما يدرب الحج الإنسان على الصبر يدربه أيضا على الشكر والصبر برضا يكون مقرونا دائما بحمد وشكر الله عز وجل في السراء والضراء .

ويربط الله سبحانه وتعالى الشكر بالصبر في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾(إبراهيم) .

والشكر سلوك عظيم ينطوي على إيمان كامل بالله ووحدانيته وقدرته وكماله ، وتصديق كامل بنعمة الله وإحسانه المطلق على عبده المؤمن . فالشكر إذن هو ثمرة التقوى والإيمان وسبيل من سبل القرب إلى الله .

ومن أكبر وأجمل لمسات الحنان الإلهي على العبد المؤمن توفيق الله وهدايته سبحانه له كي يشكره ويحمده على نعمه وفضله . وبالرغم من شكر هذا العبد الدائم لله على فضله وإحسانه إلا أنه يشعر ويحس بالعجز عن شكر الله على قدر نعمته عليه ، وأن كل ما يؤديه من الشكر لله غير كاف ، وهو عاجز عن التعبير عن شكره الحقيقي الكامن في فؤاده . . في كيانه كله . . ولقد قيل إن داوود عليه السلام قال : "**إلهي كيف أشكرك وشكري لك نعمة من عندك**" . **فأوحى الله إليه : الآن قد شكرتني .**

فإن العجز عن الشكر سلوك طبيعي يحس به العبد المؤمن الشكور لله ؛ لأنه يشعر بأن كل شيء يسلكه في الحياة شاكراً لله أقل بكثير من حقيقة الشكر التي يجب أن يقدمها لله عز وجل .

وفي الحقيقة أن حمد الله وشكره من الصفات التي يحرص العبد المؤمن أن يطبع نفسه بها إيمانا منه بأن الإنسان الذي يسير في طريق الله ويتمتع بأنعم الله عليه ويشهد بآثار نعمة الله في كل لحظة ويشعر بلمسات الحنان الإلهي عليه في كل جانب من جوانب حياته فإنه ولابد أن يشكر الله سبحانه وتعالى في كل لحظة .

ولم يكتف هذا العبد المؤمن بشكر الله في السراء ولكنه يشكر أيضا في الضراء ويرى أن الله تلطف معه ويشعر بلمسات تلطفه له فيحمده على هذا التلطف الإلهي وحفظه له من هلاك كان من الممكن أن يودي بحياته لولا تلطف الله به ورحمته عليه ولمسات حنانه له .

ويعرف العبد المحب لله بأن شكر الله لا يكون فقط باللسان والقلب والجوارح وإنما بسلوكه وعمله ، فإن فضل الله عليه عظيم وأقل شيء يمكن أن يقدمه شكراً لله هو محافظته على عبادته وحرصه على حمد الله وشكره في كل لحظة ثم سلوكه إلى الله الذي يعتبر نوعا من أنواع الشكر لله فيجب أن يرتقي بسلوكه ويرتفع فوق الأحداث ويتعامل مع جميع الأمور بما يرضي الله آملا في حبه ، طامعا في رحمته، ناشداً رضاه .

ويوجه الله سبحانه وتعالى العبد ذا القلب المحب لجلاله الشاكر له على الدوام إلى طريقه ويهديه إلى سبيله ليسلكها ويسير في هداها حتى يفوز بثواب الله له ويحمد الله كثيرا على فضله ونعمته الكبرى .

قال تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ ....﴾ (العنكبوت) .

وفي الحج تتجلى آيات الشكر والحمد لله سبحانه وتعالى حيث يكثر الحاج من حمد الله عز وجل على نعمه وفضله . ومن أكبر النعم التي يحرص الحاج فيها على شكر الله نعمة الحج حيث أعانه الله وفتح له باب الدعوة إلى الحج ووفقه وأعانه على الحج .

وعندما يصل الحاج إلى درجة الصبر على الأذى وشكر الله في السراء والضراء يتسم بالهدوء ويشعر بالود مع كل شيء ويبدأ يسعى إلى محاولة التحلي بالأخلاق القرآنية والآداب الإسلامية ويجب أن يكون المسلم قدوة في سلوكه ما دام مقرونا بدين الإسلام .

٢- الصدق :

ويتعلم الإنسان الصدق من رحلة الحج ، وتشعر أيها الحاج بالراحة والطمأنينة عندما يكون سلوكك قولا وفعلا هو الصدق لأنك لا تعبأ بأي شيء . . ولا تهتم ولا تخاف ولا تخشى إلا الله سبحانه وتعالى .

والصدق هو الإخبار عن الشيء بما هو عليه ، وإظهاره على حقيقته وهو من الأخلاق الحميدة التي يجب أن يتحلى بها الإنسان حتى يكتب عند الله صادقاً ، صديقاً ويفوز بالقرب من الله سبحانه وتعالى ، فالعباد المقربون هم العباد الصادقون .

والصدق على الحقيقة هو الفضيلة الأساسية للحياة الإنسانية، ولقد كان خلق الرسول ﷺ الصدق وكان الصحابة يؤثرون الصدق مهما كان وراءه من الألم والصعاب لأن الكذب لا يدعم الإنسان ولا ينشئ الأخلاق ، ولا يقيم الأمم ولا المجتمعات .

والصادق من صدق في أقواله ، والصديق من صدق في جميع أقواله وأفعاله وأحواله . . ومن أراد أن يكون الله تعالى معه فليلزم الصدق .

قال تعالى : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ (التوبة) .

ويرتبط الصدق دائماً بالإخلاص والصبر ارتباطاً وقوياً ، وإذا صدق الإنسان في النية والقول والعمل فهو بالتالي سيتمتع بالإخلاص في النية والقول والعمل . والإخلاص والصدق يقودان بلاشك إلى

الصبر لأن من صدق أخلص ، ومن صدق وأخلص أصبح الصبر صفة ملازمة له حيث أن الصبر يستلزم أن يكون الإنسان صادقا مخلصاً .

٣- إسقاط التدابير لله :

وهي من الدورس المستفادة الجميلة في رحلة الحج والتي تؤثر على جميع جوانب حياة الحاج حيث تسلمي نفسك وأمرك لله وحده . . وترضي بكل ما يأتيك من عند الله برضى وحب وقبول . . فتصبرين على ابتلائه وتحمدين نعمته . . فهو سبحانه مالك الأمر ، وبيده الأمر كله ، وإليه يرجع كل شيء فأمرك كله منه وإليه .

وكلمة حق تقال إن إسقاط التدابير لله . . سلوك عظيم وصعب ولا يقدر عليه إلا المحبون لله . . وأنت في الحج تهيأتي نفسياً وقلبياً وروحياً لأن تسعي في طريق الله فتلحظي بأن تكوني ممن يتوكلون على الله فتنعمين بالرضا والأمان .

ولو أحصينا الدروس المستفادة من الحج فلن تكفينا السطور ولا الصفحات ولكن نستطيع أن نلخصها في كلمة واحدة هي الطريق إلى الخلق القرآني .

والجدير بالذكر أن كلاً منا يستفيد من رحلة الحج بأشياء ودروس تؤثر على حياته يختلف عن الآخر كل حسب درجة إيمانه وحبه وإخلاصه لله عز وجل .

وإنني على يقين بأن حب الله هو جوهر الأشياء وكلما ازددت حباً لله . . ازددت إخلاصا له باحثة عن الطريق إليه . . ساعية إلى رضاه .

فكوني مع الله عز وجل تكوني غنية عزيزة . ومن استغنى بالله عز وجل احتاج إليه كل شيء . وهذا شيء لا يأتي بالتحلي والتمني ولكن بشيء وقر في القلب ، وصدَّقه العمل .

٤- الإخلاص :

والإخلاص هو أساس سلوك العبد المؤمن المحب لله ، وهو سر من أسرار الله تعالى أودعه قلب من أحبه من عباده .

فحاولي أن تكوني من هؤلاء الذين ينعمون بأسرار الإخلاص .

قال تعالى : ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ...۝﴾ (البينة) .

والحج المبرور يصاحبه دائما الإخلاص هبة ومحة مس الله سبحانه وتعالى .

والإخلاص من الدروس العظيمة المستفادة في الحج التي يتعلمها الإنسان ويتخذها مسلكاً في حياته .

والإخلاص صفة لازمة في كل عمل يؤديه الحاج في رحلة الحج ، ويصبح ضرورة في رحلة عمره الباقية لا يستطيع الاستغناء عنها بعد أن تذوق حلاوتها وقيمتها عند الله وهي هبة من الله فحافظي عليها ولا تضيعيها بالأنانية والطمع ومتاع الدنيا والظلم والإساءة للغير .

٥- الثقة بالله :

وعليك يا سيدتي أن تكون لديك الثقة الدائمة بالله وأن تسعي قدر جهدك ، وتخلصي في سعيك وتعرفي بأنه في الوقت الذي تتذكرين فيه الأسباب . . تذكري أيضا المسبب والمنعم . . فالجوارح تعمل والقلوب تتوكل .

٦- التعاون :

من الدروس المستفادة من الحج ولها أثر كبير على الإنسان والآخرين "التعاون" ففي الحج نعرف معنى التعاون وقيمته حيث

يتحد الجميع في مساعدة أي حاج يحتاج إلى العون سواء كان مريضا أو مسنا أو أي امرأة أو أي حاج يحتاج إلى الإرشاد والعون في أي شيء .

وفي التعاون تتجلى أمامنا قيمة الحب والمودة والسلام والبعد عن الكراهية والحقد والغيرة والإخاء . وللتعاون أهمية كبرى في نشر الوحدة بين الأجناس والأمم والطبقات مما يخلق جوا من الألفة بين الناس .

قال تعالى : ﴿...وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ...﴾ (المائدة) .

٧- العفو والصفح :

يدرب الحج الإنسان على العفو والصفح الجميل فأنت في الحج تتجاوزين عن أخطاء البشر ، وترتفعين بالعفو إلى درجة من درجات الإحسان .

ويعتبر الصفح ـ العفو من أقرب الطرق والسلوكيات التي يسلكها الإنسان في طريقه إلى الله .

٨- كظم الغيظ :

كما يدرب الحج الإنسان على كظم الغيظ والصبر على الأذى حيث يتعرض في رحلة الحج من شدة الزحام إلى أفعال كان من الممكن أن ينفعل فيها ويعترض ويتأفف ولكنه حبا لله ومرضاة له وحده يتعلم كيف يكظم غيظه ويصبر على من آذاه .

يقول الرسول ﷺ : **"من كظم غيظه وهو يقدر على إنفاذه ملأ الله قلبه أمنا وإيمانا"**[١] .

ونستفيد من الحج ألا نقول إلا الطيب ولا نعمل إلا الصالح الذي يرضي الله ، فالصفح والعفو والكلمة الطيبة من أبواب الحب والرحمة والنورانية والشفافية والصفاء .

قال تعالى : ﴿...**وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾**﴾ (النور) .

(١) ذكره أحمد في مسنده ، والبخاري ، ومسلم ، والترمذي ، والنسائي ، وابن ماجة ، والسيوطي في الجامع الصغير .

٩- الإحسان :

ومن أجمل الفضائل التي يتعلمها الإنسان في رحلة الحج الإحسان وهو فضيلة كبرى وسلوك إنساني عظيم يسلكه العبد المؤمن في طريقه إلى الله ، يتأكد به معنى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأنه من نقاء النفس وإخلاصها في العمل والعبادة ، وفي ذلك يقول الله تعالى : ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ...﴿٧﴾﴾ (الإسراء) .

والإحسان في الظاهر يبدو في الأعمال والأفعال ، فإذا أتقن الإنسان عمله ، وما كلف به بأمانة من حقوق وواجبات ، وإذا قام بأفعال البر ، وأحسن إلى الغير ، أو عمل عملا خيرا ، فإنه ينسب إليه هذا الفعل ويلقى من الله أفضل الجزاء لأنه إحسان وهذا يتأكد من الآية الكريمة ، في قوله تعالى : ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَـٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَـٰنُ ﴿٦٠﴾﴾ (الرحمن) .

والإحسان إيثار وتضحية ، وعطاء وبذل للغير عن رضا ، لأن المحسن لا يطالب بثواب يستحقه في الدنيا ، وإنما يتركه اختيارا لله تعالى الذي عنده الجزاء الأوفى على إحسانه .

وبالإحسان يشعر المؤمن شعورا ملازما ، أن الذي يعطي هو الله تعالى وحده ، وأن المال والصحة والجاه وكل ما في الدنيا إنما هو منه وإليه فلا يحس المؤمن في الإحسان بذاته إلا كوسيلة اختارها الله تعالى لفعل الخير وعمل المعروف .

والنفس المتسامحة هي النفس القادرة على توقيع الجزاء والقصاص العادل لكنها تنشد الخير فهي نفس محسنة .

وفي الحج يتنافس الحجاج على أعمال البر والإحسان ويكثر الإحسان في موسم الحج وليس الإحسان فقط بالمال وذبح الذبائح ، ولكن الكلمة الطيبة إحسان ، والعمل الصالح إحسان ، والتعاون إحسان ، ومساعدة المريض إحسان ، ونصرة المظلوم إحسان ، وعون الضعيف إحسان ، وخدمة المسن إحسان ، والعفو عن الناس إحسان ، والتصدق إحسان ، والمجاهدة إحسان ، والعطاء إحسان .

سيدتي . . .

اسعي لأن تكسبين من منافع الحج ، وفوائده النفسية ، ودروسه المستفادة فتنعمين بآثار رحلة الحج نفسيا وروحيا ، خلقا وسلوكا .

لابد أن تؤثر فيك رحلة الحج وتعودي منها صافية . . نقية طاهرة . . حاملة مسئولية كبرى هي مسئولية حب الله والسعي في طريقه ، وتبدأين في تطبيق ما استفدتيه من هذه الرحلة على نفسك أولا ثم تدعين به غيرك ، وهكذا تصبحين نموذجا للإنسان المؤمن الصالح الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر .

وكوني على يقين أن الشيطان لن يتركك وسيبذل قصارى جهده في إغوائك لإبعادك عن طريق الله .

وإنها فرصتك للتغلب عليه بالوسائل الربانية وهي القرآن والذكر وحب الله وما تعلمتيه من هذه الرحلة من سلوكيات وفضائل تمنحك القوة لنفسك والأمان لروحك والسلام لذاتك نفسا وروحا وعقلا وقلبا وجسدا فتنعمين بمقام النفس المطمئنة التي يرضى عنها الله والمجاهدة في سبيل الله .

وبعـــــــــــــد؟؟؟



وبعد أن تعرفتِ على شعائر الحج وآدابه وأعانك الله على أداء شعائره مقتدية بسنة رسوله الكريم ﷺ متحلية بزينة الحج وجوهره ألا وهو الخلق والسلوكيات .

وكما بدأت رحلتك إلى الحج بالصفاء النفسي فلتنهيها أيضا وأجنحة السلام الروحي ترفرف على قلبك .

وعليك أن تحافظي على هذه الحياة النوارنية الروحية والتي تعتبر مولدا جديدا لك تتطلب الحكمة والموعظة الحسنة والكلمة الطيبة والعمل الصالح .

ورسالتي إليك . . أن تجعلي من حجك نورا تمشين به بين الناس ليهتدي كل قلب حائر بين الإيمان الظاهري الذي هو على شفا جرف ، وتقوى القلوب التي هي ما وقر في القلب وصدقه العمل .

تُطوى صفحات الأيام ، وتجف الأقلام ولا زالت الكلمات متدفقة خصبة متجددة تسجل نداء إلى القلوب لتلبية النداء الرباني بالحج إلى الله قلبا وروحا ونفسا وعقلا وفؤادا . . فهل من ملب للنداء مجيبا .

"لبيك اللهم لبيك"

وإنه لمولد الهدى . . في لحظة عظمى يسعى فيها القلب في أنوار الرحمن . . على خطى القرآن . . طامعا في القبول والرضوان .

وختاماً أدعو الله أن يقبل حجنا . . ويغفر ذنوبنا . . ويعفو عنا . . ويرزقنا حسن المآب . . ويشملنا بالأنوار والسلام . . طامعين في القبول والرضوان . . على هُدى الحب والإيمان .

والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله .

حج مبرور . . وذنب مغفور . . وسعي مشكور

"لبيك اللهم لبيك"

مع تحياتي ؟؟؟

المراجع

- **القرآن الكريم** .
- **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم** .
- **إبراهيم عبد العزيز** : الشعرواي في رحاب الكعبة .
- **الدكتورة/ أمنة نصير** : المرأة المسلمة بين عدل التشريع وواقع التطبيق .
- **عباس محمود العقاد** : المرأة في القرآن .
- **الدكتور/ عبد الحليم محمود** : مع الأنبياء والرسل .
- **الدكتور/ عبد الله شحاتة** : فقه العبادات .
- **الدكتور/ عبد الله عبادة** : غفار الذنوب لبيك
- **الشيخ/ عبد القادر الجيلاني**: الفتح الرباني والفيض الرحماني.
- **علية مصطفى مبارك** : منهاج المرأة المسلمة .

- **الإمام/ محمد متولي الشعراوي :** الحج المبرور .
- **مركز الأهرام للترجمة والنشر :** الحج عبادة العمر .
- **ناهد الخراشي :** شعائر الله وأخلاقيات الحج والعمرة ، مكان في الجنة .

كتب صدرت للمؤلفة

١- أثر القرآن الكريم في الأمن النفسي .

٢- عيون لها نور من الله .

٣- مكان في الجنة .

٤- من نبع الدين والحياة .

٥- علمتني أمي كيف أصلي .

٦- علمتني أمي آداب الصوم .

٧- شعائر الله وأخلاقيات الحج والعمرة .

٨- اندعاء ولحظات من الصفاء .

٩- الإسلام فطرة الخلق وشريعة الوجود .

١٠- معاً . . قلبا وعقلاً .

فهرس